

مطبوعات أخبار اليوم

قطاع الثقافة

عظماء الدنيا وعظماء الآخرة

د. مصطفى محمود

■ رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم سعدة

الطبعة السادسة

هذه التمثيلية مستوحاة مما كتبه الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في رسالته عن «المضادة» أى صراع المتناقضات داخل النفس البشرية حينما تريد النفس شيئاً وتتمنى نقيضه.. وذلك من تجلى الأسماء الإلهية الحاكمة عليها.. المعز .. المذل .. القابض .. الباسط.. الخافض.. الرافع.. الجبار .. الرحيم.. العفو .. المنتقم.. فتكون بين حالين.. تريد الشيء وتتمنى عكسه.. ويكون الغالب على النفس هو الاسم الإلهي الأقرب إلى حقيقتها والمعبر عن سريرتها.

وهكذا تبتلى الأنفس لتُخرج ما فيها وتبوح بخوافيها.

ويدور النص حول الإسمين الإلهيين.. الظاهر والباطن.

الإسم «الظاهر» وهو الحاكم والغالب على أهل الظاهر.. من محبى الدنيا والشهرة والجاه والظهور والغلبة والذیوع وعلو الاسم.

والإسم «الباطن» وهو الحاكم والغالب على أهل الباطن من محبى العزلة والخلوة والتأمل والتعبد.. أو قلنقل إن الصراع بين النفس الدنيوية الأمانة، والنفس الربانية اللوامة.

ويدور الجدل والصراع بين الشخصين اللذين يمثلان لنا أهل الظاهر وأهل الباطن، أو النفس الدنيوية والنفس اللوامة ، وهما فى الحقيقة شخص واحد أو نفس واحدة.. وكل ما على المسرح نفس واحدة.. وإن تعددت فى الظاهر الشخوص وتعدد الأبطال.. إنما هى نفس واحدة

تعتلج فيها أحكام الاسم الإلهي الظاهر، والاسم الإلهي الباطن.. ويتناوب عليها بريق الدنيا ومحاذير الآخرة.

وأكثر حوار التمثيلية من كلام الشيخ محيي الدين بن عربي نفسه وكذلك الأشعار أشعاره ، وما أضفت من عندي سوى بعض ضرورات القالب التمثيلي، وسوى محاولة لفهم أعماق هذا النص الإسلامي النادر.

حينما تُطفأ الأنوار في الصلاة نسمع هذه المقدمة في أداء قوى

مؤثر:

خلق الله الإنسان من عناصر متضادة.. وهى النار والماء والتراب والهواء ، ثم ركب الجسد ونفخ فيه الروح وهى ضده ونقيضه ، فهو لطيفة وهو كثيف، بسيطة وهو مركب ، مجردة من الصورة وهو مصور.. وهى تحن إلى العودة إلى سمائها وهو يحن إلى العودة إلى ترابه ثم جعل الإنسان بجملته بين أحوال متضادة.. بين صيف وشتا وربيع وخريف وعلم وجهل وطاعة ومعصية ودنيا وآخرة وجنة ونار وصحة ومرض ونوم ويقظة ونور وظلمة وقبض وبسط وسرور وحزن وفرح وهم وغنى وفقير وعز وذلل وراحة وتعب وجوع وشبع وشباب وهرم وقوة وضعف وحياة وموت.. وجعل فى نفسه مثل هذا التناقض والتقلب فى الأحوال.. والحكمة من كل هذا أن تتعرف النفوس على ربها وخالقها.. فليس كل مايجرى سوى أحكام أسمائه الحسنى.. لا اله إلا هو.. ولاسواه.

﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾.

ثم تفتح الستار على جماعة من الصوفية يترنمون وينشدون بأصوات جهورية مفردة وكورال.. الله.. الله.. الله.. الله.. الله.. الله..

خلق الخلق وما يعملون .

وكلهم فى فلك يسبحون .

بحكمة للذات تجرى بهم .

أحكامها يعقلها العالمون .

لا يسأل عما يفعل.. وهم يسألون .
ثم يعاودون إنشاد نفس الأبيات بطبقات أخرى وأداء مختلف..
ويذكرون الله في عمق وخشية.

الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله ..
وكبيرهم يقول : إذا تناهت عقول العقلاء إنتهت إلى الحيرة.. فما
أدركوا الله وما عرفوا قدره.. فافهم.. وإلا سلّم تسلم.. وقل :
(كل يعمل على شاكلته ، كل إلينا راجعون ..) .
إنما أراد الله أن يُعرّف كل مخلوق على حقيقة مكانته وحقيقة شاكلته
حتى لا يكون لأحد اعتراض على آخرته.. جرمانا أو مثوبة..
لطفا بنا يارب.. لطفا بنا يا الله.

الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. (ينشدون).
ينشدون في كورال وفي أصوات مفردة من طبقة Bass والجواب
السوبرانو مع تكوينات هارموني.

هو الأول بلا أول قديم .
هو الآخر بلا آخر مقيم .
هو الظاهر بلا ظاهر خفي .
هو الباطن بلا باطن علیم .
يصيح : فافهم.. ونزه ووحده لا تشبّه ولا تُمثل ولا تعطل
ولا تجسم.. ودع المظاهر والباديات وأبحث عن الخوافي الخافيات.
هو الظاهر في كل ظاهر بلا ظاهر.
فافهم لا تقل فيما يظهر لك هو الله فتؤله المظاهر وتعبد المناظر.
وهو الباطن في كل باطن بلا باطن.
فافهم.. لا تقل فيما بطن فيك هو الله فتؤله نفسك وتعبد ذاتك.
أحد الصوفية يسأل :

— فماذا يكون إذن معنى الآية ياشيخ «هو الأول والآخر والظاهر
والباطن» !!

أليس في المعنى أنه لا بد أن يكون ظاهرا؟! فيجيبه كبيرهم : نعم.. هو
ما تقول.. ولكن كيف.. هنا اللغز والطلسم، فكروا كيف يكون ظهوره

سبحانه.. وكيف يكون ظهوره بدون ظهوره.. أطلبوا الفتح من ربكم.

■ يشترك المشايخ في الإجابة كل واحد يقول رأيه :

- هو الظاهر في كل شيء بصُّنعه ، الباطن في كل شيء بسرّه.
- هو الظاهر في كل شيء بآلائه ، الباطن في كل شيء بأسمائه.
- هو الظاهر في كل شيء بآياته ، الباطن في كل شيء ببيئاته.
- هو الظاهر في كل شيء بإيجاده ، الباطن في كل شيء بإمداده.
- هو الظاهر في كل شيء بتصويره ، الباطن في كل شيء بتدبيره.
- هو الظاهر في كل شيء بتقديره ، الباطن في كل شيء بتسخيره.
- هو الظاهر في كل شيء بحسن خلقته ، الباطن في كل شيء بإتقان حكمته.

■ كبيرهم : أحسنتم جميعاً.. فتح الله عليكم.. هو الظاهر في كل شيء بإسباغ نعمته ، الباطن في كل شيء بالعدل في قسمته.

■ ينشد كبيرهم : لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.. ما وصف الواصفون، وما حار الحائرون ، وما سطر الكاتبون ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾.. (يردد البعض كلمات: ما نفدت كلمات الله.. ما نفدت كلمات الله).

■ يهتف المشايخ : بل وأضعاف ذلك أضعافه إلى ما لا نهاية له مانفدت كلمات الله يا شيخنا

■ كبيرهم : صدقتم.. فإن الفنا لا يكون إلا فيما له حد يامشايخ والله تعالى منزّه عن الحد

■ أحد المشايخ : لا حد لذاته ولا لصفاته ولا لأسمائه.. فكيف يتنامى في ذلك تفسير المفسرين وفهم الفاهمين وتفكر المفكرين.. إن كل آية لا يسعها مجلدات لتفسيرها.

■ كبير الصوفية : ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾

■ أحد المشايخ : قال تعالى : ﴿سُرِّبَهُمْ آيَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

■ كبير الصوفية : وقال تعالى : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
وقد تبصرت في نفسى يامشايخ.. فرأيت ظاهرى ينكر على باطنى
حسدا منه إذ السر فيه، ورأيت باطنى ينكر على ظاهرى عجباً وتيها عليه
مما يشاهد من مرائيه

يمضى الموكب وهو ينشد :

الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله ..

يختفى المشايخ كلهم في الظلمة ..

وتضىء الكشافات وتلقى بأنوارها الكاشفة على الشخصية التى
سوف تعبر عن أهل الظاهر.. أهل الحظوظ الدنيوية.. أهل الشهرة
والذیوع والكلام المسموع.

شخص فازع الطول على صدره النياشين وفي يده الصولجان
وعلى رأسه ريشة ويلبس طيلسان الخلافة أو سترة قائد الجيوش،
وهو ينشد مختالا ويتبخر ومن ورائه المطيباتى ينشد مصادقا على
كلامه

■ البطل :

■ المغنواتى :

أنا الظاهر مجمل كل ظاهر هو الظاهر مجمل كل ظاهر

بأوصافى تزينت المظاهر بحليته تزينت المظاهر

أنا المشهور بين الناس طرا هو المشهور بين الناس طرا

وذكرى قد علا فوق المنابر وسيرته علت فوق المنابر

الإنشاد يقوم به دائما مغنواتى مطيباتى يقف دائما خلف

البطل ويتغنى بأرائه ويترنم بأفكاره.. وهو نسخة مقلدة منه

ولكنها باهتة اللون وبنفس ملابسه.

تخرج من ظلمة المسرح امرأة في لباس الصوفية على وجهها
قناع بنفس صورة قائد الجيوش ، وهى فى روايتها تمثل النفس
اللوامة لنفس الشخص وهى تتكلم فى تواضع العابدين الزاهدين
المتبتلين ، وتنظر إلى نظيرها المختال لائمة معاتبه منكرا

■ البطلة : في الظهور ياهذا كشف الستور.. وفي كشف الستور
قصم الظهور، تعال عندي في الخفاء والكتمان والبطون والأمان، أشهدك
على مالى من التجليات الحسان.

— من أنت يا هذه ؟

— أنا أنت.

— أنت أنا .. كيف ؟؟

— أنا نفسك التى بين جنبيك.

— نفسى فى جوفى يا امرأة.

— أنا جوفك.. أنا خزينتك.. أنا سرك الذى تكتمه عن الكل.

— وكيف تكونين كل هذا ياأختاه.

— أنا باطنك.

— ومن تكون تلك ؟ (يشاور على صاحبها)

■ تجيب صاحبها: أنا هى

جميل والله جميل أنت هى.. وهى أنا.. وهى هو.. وهى باطنى.. هذا
والله علم جديد.. ماكنت أظن أن لى باطنا بهذه الصورة.. وأنه يمكن أن
يخرج منى ويتكلم

■ البطلة (تنشد) :

أنا الباطن خفيت عن النواظر

ولى معنى خفى بكل ظاهر

— وبى قد قامت الأعيان جمعا

وسرى قد سرى فى كل ظاهر

فلولا كشف سترى فى ظهورى

وقصم الظهر كنت بديت ظاهر

الإنشاد تقوم به مغنواية تهتف دائما خلف البطلة وتتغنى
بآرائها وتترنم بأفكارها وهى تلبس نفس زيها وهى نسخة منها
ولكنها باهية اللون.

■ صاحبها المغنواة :

— تعالى أنت عندي كى تشاهد

مراىى باهرات كالجواهر

تصدقنى بنور الكشف جهرا

وتشهد أننى سر الظواهر

■ البطل متباعدة (فى جفاء وحذر) :

أنا وأنت ياشيخه لانتلتقى فنحن نقيضان.

أنت ضدى وأنا ضدك ونحن فى عراق من قديم بلا هدنة.

■ المرأة : هذا صحيح، فأنت مركبة وأنا بحر.

والسفينة إذا دخلت البحر انحل تركيبها وظهرت عيوبها .

■ البطل : إنما أنت بحر بسيط غير مركب، وأنا بارجة وهيلمان..

بل أسطول مهول وأنا الربان.

وقاثل هذا غير لاحد أو جاحد إنما الله إله واحد

فادخلى أنت إلى باطن أجزائى لتباركى أنحائى وأخبرك عن سالف

أنبائى وأشكو لك دائى وحيرتى وغوائى لعل يكون على يديك هدائى

وشفائى من علتى ودائى ،ولعل عراقنا القديم ينتهى إلى سلام ووئام

ويزول الخصام ويهدأ الصدام.

— البحر ياسيدى ملك، من خالفه هلك، ومن وافقه سلك.

والسفينة قرية فيها مساكين يعملون فى البحر

أما سمعت قوله تعالى : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾

فاصبر وصابر ورابط واتق تسلم

وازهد بدنياك واتركها معى تعلم

■ البطل (يقول فى ثقة واستعلاء وخيلاء) :

عندى الشريعة والأحكام قد حكمت

بالأمر والنهى والآيات قد ظهرت

كذا الدليل وبرهان وعلته

مع القياس وإجماع به جمعت
■ ■ والمغنواتي يؤيده:
هو الشريعة والأحكام قد حكمت
بالأمر والنهي والآيات قد ظهرت
كذا الدليل وبرهان وعلته
مع القياس وإجماع به جمعت
■ ■ المغنواتية على الجانب الآخر تنشد هي الأخرى في تواضع :
— عندى الحقيقة والإلهام قد جمعت
شمس المعارف في رحباتها بزغت
إن الكواكب وإن جلت مطالعها
لولا ضياء الشمس فيها قط ما طلعت
■ ■ يردها بشدة :
كل حقيقة لاشريعة لها فهي عاطلة لأنها من الفروع عارية
■ ■ (ينشد) :
حقيقة بلا فروع عاطلة
لأنها من الكمال عارية
وفي الفروع حكمة معلومة
ترى الثمار من علاها بادية
■ ■ البطللة : بل الحقيقة هي الأصل وعليها تنبت الفروع.. ﴿أصلها
ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾
وكل فرع لا أصل له : ﴿كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من
قرار﴾
وما حُرمت من الوصول ياسيدى إلا بتضييع الأصول فافهم.
■ ■ البطل : بل أنا الذى عندى الدليل والبرهان.
■ ■ البطللة : وأنا عندى الكشف والإتقان.
■ ■ البطل : وأنا عندى النصوص القواطع.
■ ■ البطللة : وأنا عندى الفصوص اللوامع.

■ البطل : وأنا معى صولجان الأسباب.
 ■ البطلة : وأنا مع المسبب بغير حجاب.
 ■ البطل : أنا الظاهر فى السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح الحسان.

■ البطلة : ماتسمع إلا بى يافتى، وما تبصر إلا بى.. وما أنت إلا ترجمانى ومن أصولى نبت ومن أغصانى.
 ■ البطل : بل أنا الظاهر فى الظواهر برونقى الظاهر وقد أهدت إلى النواظر.

— فرحت يا فتى برونقك الزاهر واغتررت بإحداق الخلق إليك بالنواظر ، وقد جاء فى الحديث عن النبى الطاهر أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم ، وقد أجمع على هذا أهل الباطن والظاهر وأنت ياهذا معاند مكابر.

■ المغنوياتية (تنشد) :
 خل عنك الريا والعُجب والخطرة
 تلاحظ الخلق عرك منهم النظرة
 قد صح فى النقل أن الله خالقنا
 ينظر إلى اللب لا ينظر إلى القشرة
 ■ البطل : صدقت يا نفسى فكيف الخلاص؟
 ■ البطلة :

بالإخلاص يا فتى بالإخلاص.
 — وكيف الوصول .
 — بحفظ الأصول.
 — فهل اتبعك ويكون لك أجرى.
 — إنك لن تستطيع معى صبرا.
 — فكيف أنال مقصودك ؟
 — بترك وجودك والفنا عن شهودك وبذل مجهودك.
 — وكيف الفناء عن سمعى؟

- بشهود السامع فيك.. ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم.
- وكيف الفناء عن بصرى؟
- بشهود الناظر فيك.. ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين؟
- وكيف الفناء عن نطقى؟
- برجوعك إلى من أنطقك أول مرة.
- وكيف الفناء عن يدي؟
- يد الله فوق أيديهم.
- فكيف الفناء عن سيرى؟
- هو الذى يسيركم فى البر والبحر.
- فكيف الفناء عن علمى؟
- والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وعلمك ما لـ
تكن تعلم.
- وكيف الفناء عن عملى؟
- والله خلقكم وما تعملون.
- وكيف الفناء عن مالى؟
- ليس لك من الأمر شيء.. وما بكم من نعمة فمن الله.. وأنفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه.
- وماذا سأبقى لعيالى؟
- وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك.
- أخشى من الناس
- فقل لى عملى ولكم عملكم
- فإن آذونى؟
- فاصبر وما صبرك إلا بالله
- وإن قتلونى؟
- ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم
يرزقون
- وإلى متى يكون هذا؟

— اعبد ربك حتى يأتيك اليقين .. يقين الموت يا عبد الله
 — ضيقت .. على حالي .. سامحك الله
 — إذا ضاق الأمر اتسع .. حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت
 وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم
 ليتوبوا.

— ظنى في الله جميل
 — الرجاء لا يخيب طالما صاحبه عمل وإلا فهو أمنية
 — وأين الصلاح؟ إذن
 — الله يعلم المفسد من المصلح
 — لا بد في شيء من الصلاح .. تصدق على ببعض الأمل يا أختاه
 — صلاحك من بعض صلاحى .. ألا وإن في الجسد مضغة إذا
 صلحت صلح الجسد كله ألا وهى القلب .. قلبك ياسيدنا قلبك هو مفتاح
 نجاتك

— أنا رضيت بمقام العوام .. إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
 عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما .. وربنا ستار العيوب وقد سهل
 لنا الخروج من الذنوب
 — تجتنب الكبائر الجلية ولا تجتنب الكبائر الخفية وهى الكبر
 والعُجب والرياء ما الفائدة؟ .. لقد أوقعت نفسك في مصائب أكبر
 — حيرتنى يانفسى كيف السلامة من هذه الملامة وحصول
 الكرامة؟

— بترك الظاهر وخطامه والوقوف عند حدود الله وحفظ أحكامه
 ومحاسبة النفس على الذرة والقلامة وتتقى الله بوسيلة إليه تُدعى به
 يوم القيامة.

■ المغنواتية (تنشد) :

يا من يؤمل أن يفوز بوصلنا
 من غير حفظ للعهود ولا عنا
 والنفس فيما تشتهي مع الهوى

ارجع وتب واخلص لنا تحظى بنا
 — وكيف أترك الظاهر وقد تجلّى في الظاهر وحفتنى النواظر.. ومن
 هم أهل الوسائل الذين نتقى بهم الغوائل
 — رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
 — بماذا يُعرفون .. وما وصفهم بين الأنام؟
 — ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ .. وهم من خشيته
 مشفقون، يخافون ربهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿ تتجافى جنوبهم عن
 المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ولما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس
 ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (تنشد) لمثل هذا
 فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
 — ضيقت على عيشتى فلا يقدر على هذا إلا من جعل الموت بين
 عينيه

■ (ينشد) :

الموت أهون مما قد أمرت به
 فليس لى طاقة فى حمله أبدا
 ظنى جميل بربى لا يخيبنى
 لعل يجعلنى من جملة السعداء
 — موتوا قبل أن تموتوا.. الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.. أو من كان
 ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس
 المغنواتية (تنشد) :

موت النفوس حياة ثم يقطتها
 من المنام لترقى رتبة السعداء
 وتؤت نورا به تمشى
 وتهدى إلى الأسنى
 ويجعل لها ربها
 من أمرها رشدا

■ **البطل :** أنت ياهذه مسرفة مدعية متطرفة في كل شىء.. وليس في طريق أهل الباطن دعوى ولا إسراف
 ■ **المغنواتى المطيباتى ينشد :**
 خل الدعاوى ولا تجنح إلى الأهوى
 نفوس أهل الهوى ماتت عن الدعوى
 أهل الطريق دُعوا لم يدعوا أبدا
 وأخلصوا وارتقوا للغاية القصوى
 ■ **البطلة :**

(**فى تواضع وخوف**) وما أبرئ نفسي إن النفس لأماره بالسوء،
 والله يعلم المفسد من المصلح فإنه وحده الذى يعلم السر والنجوى..
 فإنما الأعمال بالنيات، فإذا صحت النية صحت الدعوى.. والبيئة على من ادعى غير ذلك

— هل لى زلة أعرف بها؟

— كثير من قليل.. من ذلك رضاك عن نفسك وتزكيتك لها ورؤيتك
 عملها مع معرفتك بعييها.. وزهوك واختيالك وطلبك فى كل عمل تعمله
 مكافأة فورية وعمالة

— كيف أطرح عملى ولا أرجو عليه عمالة مع قوله تعالى :
 ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى ﴾ وقال : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلاله ﴾

■ **المغنواتى المطيباتى يغنى وينشد :**

وردَ عمن أتاناً بالرسالة
 بأن لنا من الله لعمالة
 ويجزينا على الحسنة بعشرة
 فكيف وقد خلقنا من سلاله؟

■ **البطلة :** فهمت عن ربك أن عدم رؤية العمل مع شهود الله فيه
 لا يبطل العمل وإنما يبطل العمل باليمن والأذى والعجب والكبر ورؤية
 نفسك فيه.. فقد تبين لهذا الاعتبار أنك ياهذا آلة فكيف تطلب لنفسك
 عمالة؟ وإن كنت خلقت من سلاله.. والله خلقكم وما تعملون.. فمن

لم يشهد المنة الإلهية في تلك الحالة ولم ير سوى نفسه ودلالة فهو هالك لامحالة.

■ المغنواتية (تنشد) :

وجود العبد في الأعمال آلة
أما يستحي أن يطلب عمالة
فمن لم يشهد المعنى ويُخلص
هلك بالمن والعُجب لا محالة

■ البطل : يا نفس .. العلم الكثير الذى فيك خبيك وأنساك من أنا..
وأنى أكمل منك فإن نفعى متعدى في الوجود، وأنا الظاهر المشهود،
وأمرى غير مردود، وببدي خرائن الجود وصولجان السعود.. وأنت في
باطنى مغمورة وفي الخفاء مقبورة لا جود لك ولا وجود.. جناتك وعود ،
وخزائنك عهود.. وما أنت ياهذه إلا زندية مطرودة يُخاف على من تبعك
من عواقب الجحود.. قد جادلتنى فأكثررت جدالى وأبطلت كثيرا من
أعمالى وشتت حالى وهدمت منارى العالى.

■ المغنواتى المطيباتى ينشد :

هو الكامل له تاج الوجود
وأنت قد اختفيت عن الشهود
تماريه بزندقة وفضله
يرى بالعين فياضا بجودى
وكل من اقتدى بك فهو غر
يُخاف عليه من نكت العهود

■ البطلة : نفحك المتعدى هذا من بعض جودى ، وظاهرك
المشهود بعض وجودى ، وإن كنت تُرى بالإبصار فأنا المشهودة
بالبصائر.. ولو كان الظاهر الموجود أكمل من الباطن المشهود كما تدعى
لما اختص البارئ جل وعلا بالاختفاء عن الإبصار وهو مع ذلك الرب
المعبود.. وظنك أنى زندية فذلك هو الظن السيئ بأهل الباطن ويُخاف

على من هذا حاله أن يهوى به الضلال في مكان سحيق.. ولا أقول فيك
إلا ما قال ربى.. بل ظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا.

■ المغنواتية تنشد :

وجودك في الوجود ببعض جودى
وأنت ترى وجودى في الشهود
فلو كان الظهور به كمال
لكان الحق ظاهر للعبيد
— أمرنا يا شيخة أن نحكم بالظاهر وندع الغيب لله.. وأنا مؤمن
موحد.

■ المغنواتى المطيباتى (ينشد) :

— لنا الظاهر به يُحكم علينا
ولله البواطن والسرائر.
■ البطل : وما أنا مؤمن قدر اجتهادى
وفيه كفايتى من ذى المخاطر
■ البطلة : لكل حق حقيقة ياسيد فما حقيقة إيمانك؟.. وماذا يفيد
حيدك مع تعظيمك لنفسك واتباعك لهواك؟

■ صاحببتها (تغنى) :

لكل حق حقيقة، فماذا تحت الغطاء أيها الساحر؟
وما حقيقة ما تقول إن كنت شاطر؟
■ البطل : دليلى ما قال مولاي.. الحسنات يذهبن السيئات.. قل
من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق
■ البطل : إذا كان التنعم بالمباح.. فلا حرج على ولا جناح

■ المطيباتى (ينشد) :

إذا كان التنعم بالمباح
فلا حرج عليه ولا جناح
ربالحسنات تذهب سيئات
كذلك جاء فى الكتب الصحاح

■ **البطلة :** قد أومت الآية إلى الصواب ولكن لم تفهم يا فتى سر الخطاب والدليل قوله تعالى : ﴿ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ .. أى للذين آمنوا بالإيمان الكامل أيها الغفلان فزهدوا في المباح رغبة فيما عند الله.. الوجه الثانى أن هذه الآية نزلت في حق أناس كانوا يطوفون بالبيت عراه ويحرمون الطعام على أنفسهم في بعض الأيام.. شريعة من عند أنفسهم ، والوجه الثالث أن الطيب من الرزق هو الحلال السالم.. والحلال السالم إذا كان لغير الله حرم.. مثال ذلك أن اللباس الحسن هو من الحلال السالم أصلا لكن إذا لبسه صاحب العُجب والرياء غدا حراما عليه بنيته الفاسدة.. وكذلك الطيب إذا كان من الحلال المحض واستعمل للغواية حُرِمَ لعلته لا لعينه.

— أنا لا ألبس عُجبا ولا رياء

— لا تزكوا أنفسكم

— إن الله جميل يحب الجمال وهو يحب أن يرى أثر نعمته على عبده

■ **البطلة :** ما فهمت المراد من الحديث يا صاحبي.. فإن الجمال على وجهين.. جمال ظاهر وجمال باطن، مراد الحديث كان الجمال الباطن.. وإلا قل لى بالله عليك هل رأيت أو سمعت أو قرأت أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يلبس مثل ثيابك ؟ وكيف يندبنا إذن إلى شيء ؟ .. ولا يفعله هو ولا أصحابه.. فلا هو ولا أصحابه أكلوا مثل ماتأكل ولا لبسوا مثل ماتلبس.. وكان زمانهم خيرا من زماننا وأموالهم أحل من أموالنا ونفوسهم أزكى من نفوسنا.. وكانت عوايدهم عبادات.. بينما نحن عبادتنا عادات.. وهل نسيت الحديث: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم.. ومعنى ذلك أن الباطن هو الأولى بالجمال عند المؤمن لأنه محل نظر الله.. وإذا كان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، فالنعمة المقصودة هنا هي الزهد، ولا يقول بغير هذا إلا معاند مجادل، وقد حذرنا الله من هذا المعنى الذى دار في ذهنتك حينما قال في شأن قارون: فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة النيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون أنه لذو حظ عظيم..

فجعل زينته فتنة للناس.. وكذلك شأن من خرج على الناس في زينة مباحة فإنها تكون فتنة في عين العاجز الذي لا يجد.. فإنما تَسُنُّ لنا سنة سيئة في ديننا وعليك وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. والله يكتب ما قدموا وآثارهم.

— قلبت الدنيا على رأسى يا شيخة وقذفت بى في نار الجحيم في مسائل خلافية لا رأس لها ولا ذيل.. أمِن أهل الله أنت أم من الزبانية؟.. هل أنت إرهابية يا شيخة.

— أعوذ بالله السميع العليم من كل شيطان رجيم، أتبلغ عنى زبانيتك من الشرطة وتدعى أتى من الزبانية وأتى إرهابية.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

— من أى باب في الدين تتحدثين؟.. ومن أين أتيت بتلك الفتاوى المربعة؟

— هذا يا صاح باب ضنين.. اسمه باب حسنات الأبرار سيئات المقربين وهو باب ترك الحلال إتقاء للشبهة.. وهو طبعاً باب لاتعرفه ومثلك لا يدري به

— وما هى الشبهة التى أخشاها من اللبس الحسن

— فتنة غيرك من المحرومين الذين لا يجدون هدمه يلبسونها

— وما على من غيرى.. وأنا مالى.. هم في حالهم وأنا في حالى

■ المطيباتى : وهو ماله.. هم في حالهم.. وهو في حاله (يغنى.. وأنا

مالى وأنا مالى.. وأنا مالى وأنا مالى وأنا مالى)

■ البطلة : الشفقة على خلق الله من رحمة الله.. إنما يرحم الله من

عباده الرحماء.. كن عوناً لأخيك على نفسه ولا تكن عوناً لنفسه عليه.

■ البطل : (يخطب كفا بكف) إذا كان الأمر كذلك ، فأكثر الناس

هالك .. وأخرتنا كلنا في اللى بالى بالك .. ضعنا والعوض على الله.

■ المطيباتى : ضيعتونا معاكم.. غرقتونا في الأصولية بتاعتكم

والعوض على الله.

■ المرأة : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم.. ورحم الله عبدا شغلته عيوبه عن عيوب الناس.

■ المطيباتى : تمام كلامك.. صح.. واحنا اخترنا أن ننشغل بامتيازاتنا وننفق أوقاتنا فى استثمار فلوسنا.

■ البطل (مصادقا على كلام صاحبه) :

تمام يا صاحبى .. تمام.. تمام .. ننشغل بامتيازاتنا عليك نور.. وأنا اخترت الانشغال بسلطانى والتفرغ لهيلمانى عملا بئصيحة الأخت الفاضلة

■ المرأة : ما اخترت يا هذا إلا الندامة.. فكلما ارتفع هيلمانك فى الدنيا زادت أحمالك فى الآخرة وتراكت ديونك أمام الديان فأهلكتك.

■ المطيباتى : أعوذ بالله من غضب الله.. دى بتطلع لنا فى كل معشوق خازوق.

■ الرجل : (مازال يخطب كفا بكف) كيف الحال فى الأمر العجيب.. وكيف خلاصنا من ذى الكروب.. ده أنت قفلت علينا كل أبواب الرحمة.. طيب الحل إيه والعمل إيه والفتوى إيه؟!

■ البطلة : عش فى الدنيا كأنك غريب واعرها كعابر سبيل.. وعُد نفسك فى الموتى.. إذا أمسيت لاتنتظر الصباح ، وإذا أصبحت لاتنتظر المساء.. وانظر إلى الدنيا نظرك إلى الميتة ، وأنت كالمضطر تاكل منها بقدر الكفاية لتسد جوعك وتستر عورتك.. عد نفسك أسيرا حتى يلقاك الله ويفك أسرك.

■ المطيباتى : يا ساتر يارب.. ده أنت تربستها قوى.. مفيش عندك نسمة هوا.. يا حفيظ.. يا لطيف.. يا مغيث.

■ (تنشد المطيباتية) :

إذا رُمت النجاة من الكروب
ففى دنياك كن مثل الغريب
وكن فيها كمضطر أسير
ليأتى الرب بالفتح القريب

■ البطل : إذا فعلت هذا تذمنى الناس ويقولون: هذا مجنون
 ■ المطيباتى : إذا فعل هذا يذمه الناس ويقولون : هو مجنون
 ■ البطل : إذا خالفت قومى عيرونى
 ويرمونى بأنواع الجنون
 وقدرى عندهم يغدو حقيرا
 وأخشى بعد هذا يهجرونى
 — الخلق يا أيها المتعوس.. لا يضرون و ينفعون، وترك العمل
 لأجلهم شرك خفى.. وقولهم.. إنك مجنون.. صدقوا والله.. فالعاقل من
 عقل عن الله وآثر آخرته على دنياه؟!
 — يا رب .. الوليه دى جت لى منين.
 ■ البطلة : يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.
 ■ المطيباتى : دى دسيسة يا مولانا السلطان.. دسيسة ونصائحها
 خسيسة .. دى cia .. مخابرات أمريكية إبليسية .
 ■ البطلة (تنشد) :
 تخاف الناس تخشاهم وتنسى
 إلها قال فى الذكر اتقونى
 (والمطيباتية تنشد) :
 وخوف الناس إشراك خفى
 ترى هل فوق هذا من جنون
 ■ البطل : وطلعتينى مشرك كمان.. أنت حاتودينى ف داهيه.. أنت
 دربكت لى مخى ولخبطت لى عقلى.. منك لله.. منك الله
 أنا بصراحة لا أفقه كثيرا مما تقولين ولا قدرة لى عليه فأبق أنت..
 على ماأنت عليه.. وأبقى أنا على ما أنا عليه حتى يجمع الله بيننا ونقف
 بين يديه والأمر إليه يفعل ما يشاء ويحكم مايريد توكلنا عليه.
 ■ البطل (ينشد) :
 طال الجدال.. ولم أفقه كلامك لى
 لك عملك يا هذه وعملى لى

ببنى وبينك حجاب لا نفاذ له
أمرى إلى الله ما لك في الملام ولى
■ والمطيباتى :

ما شاء يفعل ويحكم ما يريد بنا
هو الكريم وفيه غاية الأمل

■ البطلة : اغترارك بالأجل واعتمادك عليه هو الذى أوقعك في حب
العاجل وانكبابك عليه.. وذلك التسويف ليوم تقف فيه بين يديه هو
الحجاب الكثيف الذى لامزيد عليه.. يامسكين يامحروم.. بأى حجة
تحتج إذا أوقفنا بين يديه وقال: لاتختصموا لى وقد قدمت إليكم
بالوعيد.. مايدل القول لى.. وما أنا بظلام للعبيد
— يا الله .. يا الله .. أين المهرب والخلص.. الخلاص.. الخلاص..
الخلص يارب الخلاص.. من مندوبة الجحيم لامناص

■ المطيباتى (ينشد) :

الخلص يا رب الخلاص .. من مندوبة الجحيم لامناص
■ البطل : تريد الخلاص ودخول الجنة ونعيم الأبد بتذكرة سينما..
أنت فاكرك الجنة إيه .. !!؟

— تعبتينى وهلكتينى ودوختينى
— الجنة مهرها كبير

— حاجيب مهرها متين.. (فى صوت خافت) ما عنديش عزم..
ما عنديش همه.. أنتى عارفه كل حاجة
— حاساعدك

— أنتى حاجتنينى

— خطوة خطوة

— مش قادر على أى خطوة من خطاويك الواسعة دى

— حاخذ بإيدك

— حاتاخذى أجلى

— أنا قرينك وتوأمك ونفسك

— أنتى الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس

— غلبك شيطانك يا مسكين وغلبتك دنيتك وغرقتك بطانتك
— أنتى الى بتورينى دايمًا صورتى وحشة فى مرايتك.. أنا مش كده.. أنا راجل صالح.. كل الناس بتقول على راجل صالح ومُختار من الله.. سامعه الهتاف الى بره

يدوى الهتاف من الخارج - يحيا الخليفة العادل.. يحيا الخليفة..
ظل الله فى الأرض.. يحيا الخليفة المختار من الله.. خليفتنا مدى الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. يحيا الإمام العادل (يرقصون) ٩٩ فى المياه و ٩٩ من ميه فى الميه.. أغلبية.. أغلبية

— بيكدبوا عليك دول بيهتقوا بالأجرة.. الدنانير الى بترشها عليهم.. أنا الوحيدة الى بواجهك بالحقيقة.. اسمعنى.. طاوعنى

— أنتى مراية اليأس الى واقفة ف طريقى.. أنا حاكسر مرايتك واتخلص منك.. (يصيح) يا حُجَاب.. يا حُجَاب.. تعالوا شيلوا الست دى من هنا.. يا جُلَّاس.. يا حراس (يصرخ) يا حراس

— وكمان حاتلم على العسكر.. وحايمسكونى ازاي وأنا مليش جسم.. ده أنا جسمى هو جسمك.. يعنى حايقتلوا ضميرك يامسكين.. (تختفى ويبتلعها الظلام ويدخل عشرات العسكر ويجيء صوتها جهوريا يملأ المسرح والكل يتلفت.. باحثًا من أين يأتى الصوت.. ينظرون فى السقف والجدران)

صوت المرأة مدويا - هذا فراق بينى وبينك سأتيئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبرا.. والله يعلم المفسد من المصلح وما أبرئ نفسي، إذ كلنا تحت القهر وهو القاهر فوق عباده.. (تبوح بالسر) ويبدأ المسرح يهتز بينما تعلو نبراتها شيئًا فشيئًا.

طول الوقت يهتز المسرح ويميل ويقع العسكر على الأرض وعلى بعضهم البعض كأن هناك زلزال وتوشك الجدران أن تنهد حينما يأتى ذكر الساعة والقيامة

اعلم يا هذا إنك مسلّط على.. وأنا مسلّطة عليك.. ابتلاني الله بك.. وابتلاك بى.. ليخرج بى ماتكتم فى نفسك ويخرج بك ماأكتم فى نفسى.. ليخرج أضغانك وأضغانى ويكشف مكنونك ومكنونى.. ومن أجل هذا أقام الدنيا وخلق الخلق.. خلقهم ليفضح ما يخفونه ويكشف ما يكتُمونه حتى لا يعود لأحد عذر ولا تبقى لأحد دعوى.. وهو يعلم كل شىء من قبل.. ولكنهم يمارون ويكذبون ويدلسون ويدعون.. والدنيا هى قاعة امتحانهم وفضيحتهم..

■ **يصرخ : — ومن أجل ماذا كل هذا العذاب؟**

■ **البطلة :** تلك سنة الله فى الدنيا منذ أن خلقها.. منذ آدم.. سلط الله إبليس على آدم.. وقابيل على هابيل.. وسلط الكل على الكل.. منذ بدء التاريخ.. سلط الهكسوس على مصر والتتار على الشام والهنون والفندال على أوروبا والفرس على الروم والروم على الفرس والمستعمرين الأقوياء على البدائيين الضعفاء.. وسلط الصليبيين على المسلمين والمسلمين على الصليبيين.. وسلط سيف هتلر على اليهود.. وأطلق اليهود على الدنيا تبلوها بالفتن والحروب

■ **يصرخ مولولا : — ومن أجل ماذا كل هذا العذاب؟**

— من أجل امتحان القلوب واختبار العزائم.. من أجل أن يُعلم الأشرار من الأخيار وأهل المبادئ من أهل المنافع.. من أجل أن يتبين الأبطال من الخونة.. والرحماء من القتلة.. والفضلاء من الأراذل.. والصادقين من الكذبة.

■ **يعترض فى يأس : — ألم يكن يعرفهم من البداية؟**

— إنه يعرفهم.. ولكنهم هم عموا عن أنفسهم وظهر كل واحد منهم بغير حقيقته وأعلن غير نيته.. وادعى كل واحد أنه بطل وأنه فاضل وإنه كريم.. ولذا لزمّت الفضيحة.. ولزم كرباج الابتلاء

■ **يصرخ : — ألم يسلم أحد من هذا البلاء !!؟**

— لم يسلم أحد.. حتى أنبياءه سلط عليهم الشياطين والمجرمين

والكفرة

- والذين اعتزلوا الدنيا !!؟
 — سلط عليهم الحر والبرد والجوع والغواية
 ■ **يصرخ مولولا :** — ومن أجل ماذا كل هذا العذاب يارب؟
 — لامتحان المعادن.. وهل يعرف خبث المعادن إلا بالنار والانصهار
 والاختبار
 — وأين الرحمة من كل هذا ؟
 — كشف الحقيقة هي عين الرحمة.. ومعرفة الخبيث من الطيب هي
 عين الرحمة
 ■ **صوت شيخ مشايخ الصوفية يأتي من الخلفية جهوريا :**
 — الأمر ليس دائما كما تقولون ياسادة.. فالبلاء يأتي أحيانا
 تشريفا للمبتلى ورفعاً لدرجاته وتعلية لمنزلته.. وهو ليس دائما كرباح
 امتحان وإنما لمسه الحليم الودود الرؤوف المحب الذي يوزع النياشين
 والرتب على أهله وأحبائه.
 ■ **أصوات جمهرة الصوفية تهلل في الخلفية :**
 — الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. نعم البلاء بلاؤك يارب
 ■ **صوت شيخ المشايخ :**
 — وإن ربنا ليناديننا من عليائه طول الوقت.. أنا الحق لا أحمى
 الباطل ولا أستره ولا أتودد إلى الاندال ولا أترقق بالظلمة.. وأنا المحب
 لا أكف عن محبتى ولا أتوانى عن رحمتى ولا أحجب مودتى.
 وأنا الحق ليس من أمرى بد ولا مهرب لأحد من بلائى ولطفى باطن
 فى بلائى ورحمتى سابقة لغضبى وعدلى لا يتخلف.
 ■ **الصوفية ينشدون في الخلفية في كورال وتنويعات صوتية :**
 — الله أكبر عذبنا فنحن عبيدك
 ونحن رهن اختيارك
 ألقيت فى النار إبراهيم
 فكانت النار بردا
 وذاك بعض حنانك

■ المنشدة صاحبة البطلة ترتل:

وهكذا تجرى سنن الله في الأرض.. سلما وحربا.. حتى يأذن الله بانتهاء.. ونقول على الدنيا العفاء.. والله الدوام والبقاء والعز والعلاء ونصرخ مستغيثين.. يا الله يا قيوم الأرض والسماء.. يا رحمن.. أغثنا.. أغثنا.. أغثنا أخطأنا فارحمنا وأذنبنا فاغفر لنا وأسأنا فاعف عنا.

■ البطلة (في نبرات منذرة) :

وحيثما تنزل بنا الطامة الكبرى وتقوم الساعة.. وتطوى الدنيا تهتك الأستار وتُذاع الأسرار وتُعلن الصحف وتُقام الموازين ويُعاد تصنيف الخلق كل على حسب درجته.. ويرتفع خلق كانوا في القاع وينخفض خلق كانوا في القمة في ساعة خافضة رافعة تشيب لهولها الولدان.. وينادي المنادي.. لمن الملك اليوم؟.. وتجاوب السماوات والأرض وكل الخلائق.. الله الواحد القهار.. الله الواحد القهار

(الصوت يأتي من كل جنبات المسرح) الله الواحد القهار..

كورال مجلجل من كل مكان.. من السقف.. من الأرض.. ومن الجدران.. الله الواحد القهار.. الله الواحد القهار

ويهتف الملوك والملأ الأعلى كله.. في كلمات تتردد صداها في الآفاق (في كورال نسائي رجالي)

(لا ظلم اليوم.. لا ظلم اليوم) ..

■ البطلة : — وهذا يا فتى ختام قصتي وقصتك وختام قصة الدنيا كلها ، فكن يا هذا على شاكلتك من الظهور.. وأنا على شاكلتي من الخفاء والستور فذلك تدبيره وقضاؤه وبذلك قضت أسماؤه.. فجعلك ظاهرا لتجلى اسمه الظاهر عليك وأسدل على ستر خفائه فأصبحت من أهل الباطن لتجلى اسمه الباطن على.

وما من موجود إلا جاء بكلمته وتحلى بحليته واكتسى بأسمائه.

تخفت الأضواء تدريجيا على وجه البطل والعسكر

■ صوت المرأة : — به سبحانه تفتحت الورود وأشرقت الشموس

ودار الفلك

من الظلام يخرج جماعة الصوفية الذين رأيناهم في البداية من
وسط ضباب المشهد في إيقاع طبول رهيب.
ما زال صوت المرأة يدوى ولكننا لا نراها
■ البطلة : فما أضاعت شمس إلا باسمه النور وما أراد مريد إلا
باسمه المريد، وما أدرك عقل إلا باسمه العليم
يشارك الصوفية في الترتيل.. كل واحد يرتل فقرة من هذه
التساويح:

— وما نطق ناطق إلا باسمه المتكلم
— وما استمعت أذن إلا باسمه السميع
— وما أبصرت عين إلا باسمه البصير
— وما أبدع فنان إلا باسمه البديع
— وما انشق رحم إلا باسمه الرحيم
— وما جاءت حياة إلا باسمه المحيي
— وما نزل موت إلا باسمه المميت
— وما ظهر الظاهرون إلا باسمه الظاهر
— ولا استتر الأخفياء إلا باسمه الباطن
يرتل الصوفيون في كورال مهيب:

خلق الخلق وما يعملون
وكلهم في فلك يسبحون
بحكمة للذات تجرى بهم
أحكامها يعقلها العالمون

لا يُسأل عما يفعل .. وهم يسألون
يتكرر الإنشاد بنفس الكلمات في طبقات مختلفة وهارموني مع
أصوات نسائية:

الله .. الله .. الله .. الله .. ينشدون في خشوع
كبيرهم يقول - إذا تناهت عقول العقلاء انتهت إلى الحيرة فما أدركوا
الله وما عرفوا قدره.. فافهم.. وإلا سلم تسلم وقل:

كل يعمل على شاكلته كل إلينا راجعون
واعملوا على مكانتكم إنا عاملون.. وانتظروا إنا منتظرون
ولله غيب السموات والأرض إليه يرجع الأمر كله
الله . الله .. الله .. الله .. الله .. الله ..

(ينشدون في خشوع)

■ الجميع في كورس الختام أصوات سوبرانو وأصوات باس في
تكوينات هارموني:

هو الأول بلا أول قديم
هو الآخر بلا آخر مقيم
هو الظاهر بلا ظاهر خفي
هو الباطن بلا باطن عليم

■ كبير الصوفيين يقول في صوت مهيب :

إنما أراد الله أن يُعرِّف كل
مخلوق على حقيقة مكانته وحقيقة
شاكلته حتى لا يكون لأحد
اعتراض على آخرته .. حرمانا
أو مثوبة فافهم.. ونزه ووجد لا
تشبيهه ولا تمثيل ولا تعطل ولا
تجسم .. ودع المظاهر والباديات
وابحث عن الخوافي الخافيات
وقل الله .. وذرهم في خوضهم
يلعبون

■ (كورال شامل) :

الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله ..
الله .. الله

وتسدل ستار الختام على كلمة .. الله .. طويلة مسترسلة.

هناك شىء مفقود فى الوطن العربى.. الكل يسأل عنه ولا يجده..
العرب يحلمون براية وحدة.. وبوقفة كبرياء.
ولا نرى أثر لشيء من هذا فى الواقع الثقيل الذى يجثم علينا
العائلة العربية تفرقت كالحملان التى أفزعته الذئاب.. وضلت عن
بعضها البعض فأصبح كل واحد يرى فى أخيه ذئبا يوشك أن ينقض
عليه.. ويرى فى عشيرته عيونا وجواسيس تترصده.
ورأينا الشاه الشاردة التى تركت القطيع كله وهرولت لترتمى فى
حضان صيادها.. ورأينا الكاتب الذى يقول : إن إسرائيل هى الأمل
والمستقبل وهو يراها تنهش فى أرضنا.
وتواضعت الهمم وشحبت الأحلام ، فما عاد أحد يفكر فى النضال
ولا فى البطولة ولا حتى فى العمل الأمثل.. وإنما أصبح أكثرهم يكتفون
بالممكن ويحصرّون أحلامهم فى الموجود.. وقد ارتضوا مرارة الواقع
وتعودوا الغصة التى يتجرعونها مع أخبار كل صباح.. وأصبحت
أمنيّتهم الوحيدة هى الأمان من الإرهاب ونكباته.
والدين الذى كان يجمعهم.. أصبحت رموزه ترعّبهم!! واسمه
يفزعهم وأصبح أمل معظم الحكومات هو توفير الخبز لشعوبها..
وهكذا لم يبق لنا إلا الممكن.. والكلام عن الممكن!! والرضا بالممكن..
وشغلنا بخبزنا عن كل شىء.

يخرج قرار من الكونجرس بأغلبية ساحقة بإقرار القدس عاصمة أبدية لإسرائيل.. فلا ينتفض الجسد العربى ولا يصدر عنه رد فعل مناسب يدل على أنه حى.. لا يثور.. ولا يصرخ.. ولا تجتمع الجامعة العربية لفورها لتقرر شيئاً.. أى شىء.

يقول وزير خارجية إسرائيل.. لو اقتضى الأمر أن نحارب لنفرض السلام فسوف نحارب.. ما شاء الله.. يلوحون بالقوة لفرض السلام الذى يريدون.. يفرضونه على من؟!.. لا أحد يرد من الدول العربية المعنية.. وكأنهم لا وجود لهم.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد.. وإنما تأتى الأنباء باتفاق عسكرى وعقود تسليح تعقدها إسرائيل أخيراً مع روسيا وبنود سرية نووية وغير نووية لانعلم عنها شيئاً.. ثم أكثر من هذا نفاقاً برئيس وزراء إسرائيل يطالب أمريكا بمعاهدة دفاع مشترك لحماية أمن إسرائيل.. ثم نكتشف أن هناك تحالفاً عسكرياً بين إسرائيل وأريتريا.. وتشهد الساحة العربية هجوماً فعلياً تشنه أريتريا بطائرات إسرائيلية على الجزر اليمنية فى البحر الأحمر تستولى فيه على «جزيرة حنيش».

إنها تعبئة لقتال وليست مسالمة ولا مهادنة. ونحن نتداول فى التطبيع وفى فتح أسواقنا للسلع الإسرائيلية وفى تهدئة لغة الخطاب حتى لاندوس على طرف الأحباء الجدد.. شىء عجيب.

نحن نحلم بسلام السمن والعسل وهم يعقدون التحالفات لمزيد من السلاح ويتأهبون لصدام وشيك.

وماذا يجرى فى العالم حولنا...!!؟

الصرب يقتلون خمسة عشر ألف أسير مسلم ويلقون بهم فى حفر ومقابر جماعية فى سربرنيتسا.. ومن قبل ذلك خمسين ألف حالة اغتصاب.. ومليون مطرود ومشرّد.. وأكثر من ذلك فى الأوطان الإسلامية بطول وعرض آسيا وأفريقيا.. ولا أثر.. ولا رد فعل يساوى تلك البشاعة.

وماذا تظنون العقاب الذى قرره الأمم المتحدة على السفاح كارادتش

والجزار ميلادتش اللذين ارتكبا كل تلك البشاعات.. اسمعوا واعجبوا.. لقد حكمت المحكمة بألا يتقلد أحد منهما منصبا كبيرا بعد ذلك.. أى إحالة إلى التقاعد.. مع معاش مناسب.. وحتى ذلك التكريم يرفضه الصرب بكل صلف وكبر.

الظلم كاسر ومتبجح وغليظ.. والعدل يتيم ذليل مكسور الجناح.. والكل ساهم شارد ينتظر نزول شىء من السماء.. صاعقة مثل صاعقة عاد وشمود أو طوفان مثل طوفان نوح.. أو مطر من نار وحجارة مثلما حدث مع قوم لوط.. أو خسف أرضى يقبر الظلمة كما حدث مع قارون.

المسلمون يدخلون الشيعة في المقاهى وينتظرون من الله أن يحارب لهم.

وهو أمر مخجل.. ومغالطة حتى في أمر دينهم.. فهم يعلمون من قرآنهم الذى يتلونه كل يوم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. وأنهم مطالبون أولا بتغيير هذه السلبيات والهوان النفسى والخضوع الذليل والتسول السياسى.. مطالبون بنبذ الفرقة والانقسام والتشردم.. مطالبون بنبذ الأحقاد الداخلية التى تفرقهم.. مطالبون بالتجمع فى عائلة واحدة وقيادة واحدة وصف واحد، ليس لإعلان الحرب ولكن ليُسمعوا العالم صوتا واحدا متحدا ووقفة واحدة متحدة.

الآلة العسكرية الاستعمارية والمكر الصهيونى تحالف عليهم.. وراح يحصدهم حصدا فى كل مكان من العالم.. البوسنة، الشيشان، طاجيكستان، أذربيجان، بورما، سيريلانكا، ليبيريا، كشمير، الصومال، جنوب السودان، نيجيريا، فلسطين، لبنان.. وآخرها الهجوم الأريتري بطائرات إسرائيلية على الجزر اليمنية فى البحر الأحمر.. الرصاص ينطلق عليهم من كل مكان والدبابات تطاردهم وتطحن عظامهم.. والرأى العام الاسلامى منقسم ومتراخ، والجهة الاسلامية مترددة بين تطرف أهوج أرعن وخضوع متهاون مساوم وإرهاب عميل مأجور.

والله يزلزلهم زلزالا بعد زلزال ولا يفهمون الإشارة.. ولا ينتبهون إلى

الرمز الذى يهزهم ليفيقوا.. ويلكزهم ليتحركوا.. ويقول لهم.. انتبهوا.. قد لا يطلع عليكم غد وقد لا ترون شمساً بعد اليوم.. فأتقوا الله فيما تعملون.

الأمة الإسلامية فيها أكثر من ٤٠٪ من ثروات وكنوز العالم.. ذهب يورانيوم حديد نحاس منجنيز ألومنيوم زمرد فيروز لؤلؤ أحجار كريمة نפט غاز طبيعى فحم وأرض زراعية ومياه وسيول بالهبل.. فلا تستطيع أن تصنع من كل هذا قوة تنافس بها الكبار.. وسنغاقورة رائدة التقدم الاقتصادى فى آسيا ليس فيها أى شىء من هذا حتى الماء تشتره من ماليزيا.. ومع ذلك سبقت أمريكا واليابان فى معدلات النمو.. لأنها أدركت كنزها الحقيقى.. الانسان.. اليد الماهرة.. والعقل النشط.. والهمة الوثابة.. فانطلقت كالصاروخ.

أين الأمة الإسلامية من الكنوز التى ترقد عليها والله قد حباها بكنز آخر أعظم وأعلى هو كنز العقيدة السليمة والتوحيد والمعرفة الالهية والتأييد الربانى.. أين نحن؟! أين نحن!!

نحن موتى فى حاجة إلى بعث ونيام فى حاجة إلى يقظة وأشتات متفرقة فى حاجة إلى قيادة.. وأيتام فى حاجة إلى يد هادية وبطل ينقذ فى رمادنا ويشعل حماسنا.

وعلى هذا البطل أن يخرج من مخاض المعاناة ونيران المطهر ورحلة التعرف على الذات.

وربما كان ما يجرى الآن هى مقدمات دموية لذلك الخروج وتلك الصحوة.

لقد وصلنا إلى آخر الشوط.. نكون أو لا نكون.. نفنى أو نثبت صلاحيتنا ونؤكد وجودنا.

وقد بلغنا الحائط ودخلنا فى المعركة النهائية مع النفس.

لقد انطلقت الجماعات الإسلامية من بدايات خاطئة تماماً وما زالت مصرة عليها.. وهى محاولة القفز على السلطة واغتصاب الحكم.. وظنت أن الجهاد يبدأ من الجهاد مع الآخر والصراع مع الآخر.. ونسيت أن

الجهاد يبدأ في الحقيقة بالجهاد مع النفس والصراع مع العدو القابع داخل النفس.. إبليس الأنانية والتعصب وشيطان الطمع والأثرة وجنون الزعامة الفارغة.. نسيت أن الاسلام بدا بثلاث عشرة سنة من التربية النفسية في مدرسة النبوة حيث تدرب الصحابة الأكابر على الجهاد الأكبر مع النفس.. ولم يأذن الله بالقتال مع أعداء الخارج إلا بعد أن نجح ذلك الجهاد الأكبر في تطهير نفوس الصحابة وخلق ذلك الجيل العظيم من الأبطال الذي يصلح لتسلم زمام القيادة.. هؤلاء الأكابر الذين تحولوا إلى نجوم هادية تجسد الفضيلة والتبل ومكارم الخلق.

ولكن الجماعات الاسلامية في زماننا نسيت هذا الدرس وبدأت بإعلان الحرب على الآخرين وبصناعة الانقلابات للوصول إلى الحكم وبلوغ الكرسي.

ووجدت الصهيونية الذكية فرصتها فاستأجرت أنفارا لها في كل مكان تفجر القنابل وتنشر الرعب وترفع راية الاسلام لتشوه اسمه وتلطيخ صورته وتنتزعه من جذوره.. ولتضرب المسلمين بعضهم ببعض ولتعرض الحكومات على رموز الدين.. ولتضع الاسلام كله في قفص الاتهام تمهيدا لتصفيته.

وفي الحالات القليلة التي وصلت فيها الجماعات الاسلامية إلى الحكم مثل السودان وأفغانستان.. كانت النتائج مخيبة للآمال.

ولقد رأينا في أفغانستان ما فعل حكمتيار ورباني وسياف حينما تسلموا السلطة وكيف استطاعت المخابرات الأمريكية والأموال الأمريكية أن تصطادهم وتسلطهم بعضهم على بعض.. وكيف حولوا بلدهم إلى خراب ودمار ومزرعة ألغام.

لقد انتصروا في حربهم على الروس الكفار ولكنهم لم ينتصروا على نفوسهم فلم يصلوا إلى شيء.

إنهم لم يكونوا أبطالاً.. بل كانوا مجرد مغامرين وطلاب مناصب. وفي السودان فتحت الحكومة الإسلامية الباب للجماعات الإجرامية لتدير عشرات المعسكرات للتدريب على الإرهاب.

وهذه هى مأساة المسلمين فى زماننا. إنهم يمارسون البطولة بلا بطولة ويطلبون الزعامة بدون شهادة لياقة ويباشرون الإجرام على أنه إسلام وفداء ووطنية. إنهم هم أنفسهم فى حاجة إلى إصلاح لنفوسهم أولا وفى حاجة إلى الانقلاب على نفوسهم قبل أن ينقلبوا على الآخرين. ولو كانوا على الحق لما أمكن الله منهم.. فلقد عهدنا الله ناصرا ولأوليائه وناصرنا لحملة لواء الحق أينما كانوا.. يقول القرآن فى ذلك: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ ^{لهم} فهذا هو وعد الله الثابت للصالحين من عباده.. فهو لا يخذلهم ولا يسلمهم.

وحيثما هُزم المسلمون فى غزوة أحد قال لنا الله ان العيب فيهم، فقد حاربت الفئة الضالة منهم للغنائم وليس لوجه الحق. إنها دروس نفهم منها سنن الله فى الأرض ونعرف منها من هم الذين ينصرهم الله ويؤيدهم، ومن هم الذين يخذلهم ويتخلى عنهم. وأعتقد أن المحن الهائلة التى مر بها المسلمون فى زماننا كانت تربية دموية وتطهيرا دمويا وتنويرا وتعلينا من الله لمرحلة سوف تأتى فيما بعد يظهر فيها القادة بحق الذين أنضجتهم المحن وأنضجتهم التربية الإلهية.

إن الله يُعدُّنا لشيء.

ولا شك أن السلام الصورى الذى يجرى على الأرض العربية والتسلح الهائل الذى يجرى من طرف واحد على الجانب الإسرائيلى والمساندة الأمريكية للظلم الإسرائيلى ونهب الأرض الفلسطينية واغتصاب القدس وعقد التحالفات مع هذا وذاك تمهيدا لحصار المنطقة العربية.. كل هذا سوف يؤدى إلى اختلال الميزان وإلى تفاقم الظلم وإلى صدام لا مفر منه فالخمسـة ملايين إسرائيلى لن يستطيعوا تثبيت

سلطانهم في المائة مليون عربى إلا بإضعاف البنية العربية كلها وتهديمها وتمزيقها بالفتن.. ومثل هذا الملك الذى سوف يقوم على الفتن وعلى الظلم وعلى الارهاب لا يمكن أن يدوم.. ولا يمكن أن تظل السياسة العالمية مساندة لهذا الجبروت.. ولا أن يدوم العلو لأمریکا.

سوف تتبدل الكراسى إذن.. وسوف تتغير المواقف.. وسوف تأتى اللحظة التى تصبح فيها تصفية الآلة العسكرية الصهيونية ضرورة مطلقة لسلام العالم.. وحينذاك يأتى التوقيت الذى أعده الله فى غيبه المكنون لبروز تلك البطولات من محضن البلاء.

إنهم الآن فى الغيب فى مسبك البلاء الربانى الذى تعاد فيه سبك النفوس لتبلغ مستوى البطولة المطلوبة.

إن بللورة الماس لا تقطعها إلا سكين أشد منها صلابة.. والبلاء هو المصنع الالهى الذى يصنع تلك النفوس الأشد صلابة من الماس والأشد قطعاً من شفرة الصلب.

والله هو صانع التاريخ وصانع البشر وصانع الظروف.. وهو الذى يختار التوقيت الذى يعمل فيه أبطاله.. والمسرح الذى سوف يتصارعون عليه.

إن الصهيونية الآن تكاد تنفرد بالعالم لأنها قد آوت إلى ركن شديد هو القوة الأمريكية التى لا تقهر.. ولا بد أن ينهار ذلك الركن كما انهار الركن السوفيتى.. أو يحدث ما يؤدى إلى تبدل المواقف واقتضاح الصهيونية ومكرها الشرير بالعالم فينقلب عليها حلفاؤها ويختل الميزان وتأتى اللحظة المواتية لظهور البطل.

والبطل لا يعمل وحده.. وهو لا يستطيع أن يغير شيئاً إلا إذا آتاه الله الأسباب وهياً له الظروف واختار الوقت.

متى تتبدل الأحوال ويستدير الزمان دورة كاملة كما بدأ؟؟
اليهود يقولون بعد ألف عام من ملك إسرائيل السعيد.. أو ربما فى العالم الآخر.. يقولون هذا.. مستهزئين.

ولكنى أعتقد أنه سوف يظهر من يهدم ملك إسرائيل قبل أن تنسدل

الستار على السنة الألفين وفي أقل من خمس سنوات من الآن.. هكذا تقول التوراة.. وهكذا تقول الرؤى الانجيلية.. وهكذا تقول الأحاديث النبوية.. وهكذا تأتي الاشارات في القرآن عن علو إسرائيل وعن نهايتها ودمارها.. يقول ربنا في سورة الاسراء مخاطبا اليهود يمن عليهم ما كان من نجدته لهم بعد هزائمهم المتكررة:

﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم (على الذين غلبوكم) وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا (وهو ما نراه اليوم من علو نفيرهم وكثرة أموالهم وأعدادهم) إن أحستهم أحستهم لأنفسكم وإن أسأتم فلها.. فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ (والكلام عن المسلمين الذين سوف يدخلون القدس للمرة الثانية ويدمرون ما رفع اليهود من بناء وما أقاموا من هياكل)

ذلك وعد الله.. وهو وعد غير مكذوب.. وما دام القرآن جاء بهذا الوعد.. فلا بد أن الله سوف يهيئ له ظروفه.

إن المذابح التي تجرى في الأقطار الاسلامية على امتداد المسرح الجغرافي بآسيا وأوربا وأفريقيا لن تقتل الاسلام بل سوف توقظه ولن تبديد المسلمين فهم في حصن من الإبادة بكثرة توالدهم. وعذاب الدنيا للمسلم هو البعث والمطهر والميلاد.

ولن تقضى على الإسلام حضانة الصهيونية للإرهاب ولا تأليبهم للعالم على المسلمين ولا مكرهم ولا تأمرهم.. إنما هو ليل.. ولكل ليل فجر.. ولكل بلاء نهاية.. إنما هي تحولات الليل والنهار. ليس هذا مجرد حلم.. ولكنه إيمان ويقين.

وليس مقالا صحفيا للاستهلاك.. وإنما كلمات حق أنزلها الخالق الذي خلق الدنيا بما فيها.

المشكلة الحقيقية فى التعامل مع إسرائيل أن مبدأ المذابح والمجازر والإبادة واستعباد غير اليهود وتسخيرهم واستغلالهم.. هو أصل ثابت من أصول الشريعة التوراتية التى يتعلمها اليهود كلهم منذ الصغر ويتلونها كل يوم فى مدارسهم وبيوتهم ويؤمنون بها إيماناً أعمى.. وعلى هذا الإيمان أقاموا دولتهم.

يقول لهم الرب:

كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان ، من الفرات إلى النيل تكون تخومكم.
وقد اختاركم الرب لتكونوا شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب التى على وجه الأرض.

وأباحتم لهم التوراة دماء جميع الأمم.. تقول كلمات التوراة:
حين تذهب إلى مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك وفتحت لك أبوابها فكل الشعب الذى تجده فيها يكون عبيداً لك تسخره فى خدمتك.. فإن حاربتك ودفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واجعل من نسائها وأطفالها وبهائمها غنيمتك.

ولكن الرب يعود فيندم على هذا التساهل فيقول فى مكان آخر:
أما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تترك منها نسمة حية.

وفي سفر يشوع: إذا استمر هؤلاء في القتال فعليك بإبادتهم.
هذا هو بروتوكول التعامل مع غير اليهود في التوراة الرسمية..
ولا نذكر التلمود ولا بروتوكولات آل صهيون بما فيها من بشاعات
وشناعات.

وقد رأينا عينات من هؤلاء الأبطال الذين يمجدونهم ويوقدون
لقبورهم الشموخ.. باروخ جولد شتين سفاح الحرم الإبراهيمي الذي
قتل أربعين من المصلين وهم راكعون.. وإيجال عامير الذي قتل رابين.
وصور باروخ جولد شتين الآن تملأ متاجر ومحلات وبيوت
إسرائيل بمثل ما تملأ بيوتنا صور عبدالوهاب وعبد الحليم.
وهؤلاء هم نجومهم الذين يجسدون أحلامهم.

هذه هي إسرائيل التوراة.. وهذا هو شعبها الذي تجمع في صهيون
يحمل التوراة في يد والبندقية في اليد الأخرى.

وفي هذا الإطار يجب أن نفهم إسرائيل والسلام الصوري الذي
تطرحه علينا والسوق الشرق أوسطية التي تستدرجنا إليها.. ولن يكون
سلامها في أحسن الفروض إلا استراتيجية مرحلة.. إن لم يكن كميناً
وحقل الغام.

ولأنهم يضمرون كل هذا الغل وكل هذا الحقد الدموي كان لابد أن
يبدأوا بالشوشرة علينا بترويج بضاعة الإرهاب الإسلامي الذي صنعه
ومولوه واستأجروا له عصابات المافيا المحترفة التي ترفع شعارات
الإسلام.. ليتهموا إسلامنا بما وصمت به توراتهم.

وقد رأينا جميعاً ذلك الإرهاب المستأجر والممول من الخارج بملايين
الدولارات ورأينا القنابل المستوردة والصواريخ المستوردة.. ووضعت
أجهزة الأمن أيديها على ترسانات السلاح المستوردة.. إنه إرهاب
مصنوع والأيدى التي تباشره أيد عميلة مشتراة.

وهذه هي المشكلة.. إننا لا نتعامل مع ناس عاديين.. وإنما نتعامل
مع غابات وأدغال.. لا يمكن أن نطمئن فيها على أى خطوة.

ومنظمة حماس وغيرها من منظمات العنف هي نتيجة منطقية لهذا

النهج الإسرائيلي فى التعامل.. فما كان لتلك الدموية إلا أن تلد دموية أعنف منها.

إن راببن كان إرهابيا وقاتلا محترفا ومع ذلك لم يعجبهم.. لأنه لم يكن إرهابيا بما يكفى ولا قاتلا بما يكفى ولا حاقدا بما يكفى.. وهذه هى إسرائيل التى نتفاوض معها.. فكيف نتفاوض معها بحسن نية؟

ومن مفارقات هذا الزمان أنها استقطبت العالم كله لخدمة أهدافها. ولم يطاوعها العالم عن سذاجة ولكن عن مصالح زينتها له.. فهى ستكون الحارسة على مصالحه واستثماراته والوصية على احتياجاته من النفط المخزون فى أراضيها.. والقائمة على تفتيت دول المنطقة حتى لا تقوم لها قائمة وحتى تظل تركة مستباحة للمستعمر الجديد (أمريكا وحلفائها) وضامنة للتبعية الاقتصادية لتلك القافلة إلى ما شاء الله. هذه هى الصفقة.

ونحن الصفقة.

وهى صفقة مصالح متبادلة بين على بابا الذى يضع طاقة الحاخام على رأسه وبين الأربعين حرامى من دول الغرب ذوات الأطماع التى لا تشبع.

وحكامنا يعلمون مخاطر اللعبة.

وملوك المنطقة يعلمون كل شىء.. ولكن هامش الحركة المتاح لأى منهم محدود.. وخياراتهم محدودة.

والذين هرولوا كان الواحد منهم ينظر إلى مساحة عمره فقط وإلى أيامه الباقية المحدودة يريد أن يعيشها فى أمان.. وليحدث بعد ذلك ما يحدث.. ولكنه لن يجد حتى ذلك الأمان.. لسبب بسيط.. أن الأحداث تهرول بأسرع منه.. والمتغيرات تلهث.. وسوف يدفع ثمن هرولته فى حياته.

إن البوتقة التاريخية تغلى بما ألقى فيها من خطط سريعة الاشتعال وسوف يصل التفاعل بينها إلى ذروته قبل الوقت الذى حسبته جميع

الأطراف ليؤدي إلى عكس الأهداف التي قدروها.. وذلك لأن الله هو الذى يصنع التاريخ وليس الحاخامات.. لأن القدس قدسه والكعبة كعبته والأديان أديانه.

والمشكلة أن إسرائيل وهى الدولة الصغيرة التى عاشت وأعاشتنا معها على وهم أنها الجماعة الضعيفة المضطهدة المهضومة الحقوق المعتدى عليها.. كانت طول الوقت تحاول أن تغتصب عطف العالم واهتمامه ثم ثرواته ثم سياساته ثم زين لها شيطانها أن تدير حكوماته بشبكة تحتية من المستشارين الماسون الذين دفعت بهم فى غفلة من الزمان إلى كراسى صنع القرار فى كل حكومة.. وسلحتهم بكل أساليب المال والغواية والتهديد.

ألف سنة من التنظيم الدؤوب والتخطيط الصهيونى الماكر لتصعد فيها ذلك المرتقى الصعب وتبلغ ذلك العلو المشهود وتصل إلى هذا الصلف السىادى.

ولكنه علو مفتعل بسيقان الآخرين.

وارتفاع كاذب على أكتاف أمريكية وأرجل أوروبية.. وفى خلصة من انقسام عربى وفراغ دينى وتمزق إقليمى.

ولن تدوم تلك الأكذوبة لأنها تمشى بيننا بلا أرجل.. وتعلو على العالم بلا منطق.

والعالم يوشك أن يصحو بعد سكرة طويلة على الأفعى الصغيرة الضعيفة المضطهدة التى رباها فى حجره ليفاجأ بها وقد تحولت إلى تنين يلدغ.

والشركاء الذين جمعهم الطمع سوف يفرقهم الطمع.

والحكاية الطويلة التى استمرت ألف سنة توشك أن تبلغ نهايتها.

فأنت تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت.. ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت.

وكل ما يبينه الطمع لابد أن ينهار لأن فيه جرثومة فناء.

ومن عجب أننا نرى أمامنا هذه الأيام مفارقة عجيبة.

أن دول أوربا وأمريكا التي تدفعنا دفعا إلى تسريع المصالحة مع إسرائيل (رغم التهديد النووي الإسرائيلي على حدودنا ورغم إصرار إسرائيل على استمراره) نفس تلك الدول نراها تحاول جاهدة لتعرقل أى مساع للصالح بيننا نحن العرب وأى محاولة لرأب الصدع مع صدام العراق.. ونرى ريفكند من بريطانيا وبلليترو من أمريكا يحذران بشدة من خطر « صدام » إذا تمت أى تسوية معه وإذا خففت عنه العقوبات.. فهو ثعبان سوف يسعى إلى التسلح من جديد وإلى تهديد جيرانه العرب. عجباً يا سادة..!!

ومن سلح صدام من قبل ومن دفعه على إيران ومن أغراه بالهجوم على الكويت.. ومن أى دول أتى بأسلحته التي هجم بها على الكويت.. أليس من بريطانيا وفرنسا وأمريكا..؟

ويطلع علينا من ينكر مبدأ التآمر وينكر تفسيرنا لما يجرى حولنا بالتآمر ويعيب علينا هذا التفكير التآمرى البدائى.

وماذا نسمى إذن ما يفعله ريفكند وبلليترو اليوم وما فعله جى موليه ومستريدين فى مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ الذى اشتركت فيه طائرات وجيوش وبوارج انجلترا وفرنسا وإسرائيل.

ومن أيقظ الفتنة الطائفية فى لبنان وأمدّها بالسلاح والقنابل وبالصواريخ وبالأموال طوال ست عشرة سنة فى حرب أهلية أتت على الأخضر واليابس؟.. وماذا كان المشهد الختامى لهذه الحرب؟.. فرنسا تمد يدها فجأة لإنقاذ عميلها المهزوم مارشال عون فتؤوية فى سفارتها فى بيروت ثم ترسل غواصة فرنسية لالتقاطه مع الذهب الذى هرب به لتعود به إلى فرنسا.. إن الحرب اللبنانية الأهلية.. لم تكن مجرد فتنة داخلية إذن..!! وإنما صنعتها أيد أجنبية تقول.. هأنذا.

وحرب ٦٧ حينما تحرك عبدالناصر ليقوم بضربة دفاعية فى آخر لحظة فأمسكت روسيا وأمريكا بيده وقالوا له فى مكالمة تليفونية قبل الفجر.. لا تبدأ بأى ضربة من ناحيتك.. وكانت الضربة الإسرائيلية الأولى

التي أصابت طيراننا في مقتل.. أكان ذلك النصح الروسي الأمريكي نصحا أخويا أم تأمرا؟

ومذابح المسلمين في البوسنة التي تمت تحت أعين الدول الأوروبية على امتداد ثلاث سنوات والسلاح يتدفق على الصرب من كل مكان.. والمسلمون محظور عليهم أى قطعة سلاح ومحظور عليهم الدفاع عن أنفسهم بقرار رسمى تعلن من الدول الأوروبية راعية حقوق الانسان.. أكان هذا تناصحا أخويا.. أم تأمرا وضيعا!!

يا سادة.. إننا نعيش في وكر ثعابين.
وعيينا أننا نحتضن تلك الثعابين ونلهو معها بحسن نية.
وأقول لكل الأخوة العرب والمسؤولين منا: لقد آن الأوان لنفيق..
ونتعامل بالمثل مع هؤلاء الناس.

وأقول ان الدور علينا في المرة القادمة.
الدور جاء علينا لندخل المفرمة التي أدخلوا فيها البوسنة.
والوحدة العربية أصبحت هى الحائط الأخير الذى نلجأ إليه.
وظهرنا جميعا إلى الحائط.
ولا يهم أن يتفق كل العرب وإنما يهم أن يتفق ثلاثة.
مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية.. فهم الواجهة.. وهم
شركاء المصير.. وهم الصدر.. الذى سوف تتجه إليه جميع الحراب.
ولا يوجد أمامهم خيار آخر.

انفجار باكستان

الإرهاب الآن صنع له حكومة تحتية وبنية أساسية تحت الأرض وأصبح له حكام سفليون يتلقون التمويل والدعم من دول ومخابرات إبليسية فوق الأرض.. ولا علاقة لما يحدث بالإسلام.. وإنما هي مافيا ترتزق وتقبض أجورها بالدولار لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في كل مكان.

ويساعدها عصر مادي لا ديني لا أخلاقي.. طبيعته العنف في كل شيء.. العنف في السينما.. العنف في الرقص.. العنف في الغناء.. العنف في الخصومة.. العنف في السياسة.. العنف في الحروب.
وما حدث أخيرا في انفجار باكستان لا يخرج عن ذلك.

سيناء تتحول بالتدريج لتصبح مسرحاً لأكبر جذب سياحي في العالم وفنادقها الممتلئة باستمرار تقول هذا.. وعملية البناء وإنشاء القرى السياحية وهي عملية متواصلة لم تستطع إلى الآن أن تستوعب التدفق السياحي من شواطئ الأديرياتيكى ومن داخل أوروبا.. وجميع الغرف محجوزة منذ شهور وكذلك كل مقاعد الطائرات من وإلى سيناء.. وأسماء مثل ذهب ونوبيع وشرم الشيخ وسانت كاترين والغردقة والسخنة تحولت إلى فصوص متناثرة من الزمرد والماس تلمع بالأنوار على صحراء سيناء وفي أحضان جبالها.

وقد عشت أياماً سعيدة في أحد هذه الفنادق وادهشنى عدد الطلاينة والألمان الذين يملأون أكثر الغرف.. ويتسامرون ويضحكون ويأكلون ويشربون في مرح مع باقى النزلاء كأنهم أسرة واحدة.

وفي آخر أيام إقامتى لاحظت أن أكثر العاملين في الفندق يأخذون إجازاتهم وحينما سألت عن السبب قالوا إن الفندق من ٢٧ أكتوبر محجوز أكثره لأفواج إسرائيلية.. قلت للعامل: وماذا فى ذلك؟ قال العامل: إنك لاتعلم كيف يعاملنا الإسرائيليون.. إنهم يكلموننا فى عجرفة ويتصرفون كأنهم أصحاب الأرض وأصحاب المكان.. ويقولون إن السادات قد اختلس منهم أرضاً هى حقهم وأنهم لابد عائدون.. وهم يختلقون لنا المشاكل ويفتعلون الصدام ويجأرون بالشكوى بسبب

وبدون سبب.. ولهذا نفضل أن نأخذ أجازاتنا في هذا الوقت من الموسم السياحي تفاديا للمتاعب.

وهى عينة مصغرة لما سوف يفعله التطبيع في مجتمعنا المصرى وفي المجتمع العربى على اتساعه.. وما سوف يؤدى إليه فتح الباب على مصراعيه لهذه العداوة التاريخية.. والأطماع التوراتية التى تملأ وجدان الإسرائيلى الذى شحنته الصهيونية بهذا العطش الأزلى نحو التملك والسيطرة.

ولقد رأينا جميعا ما فعلته رأس الحربة الإسرائيلىة حينما اخترقت مجتمعاتنا العربية بعد كامب ديفيد باسم السلام.. وكيف أنها عزلت مصر ثم قسمت العرب إلى جبهات متناحرة مع السلام وضده وحولت الأسرة العربية إلى جيوب يناصب بعضها بعضا العداء.. وكيف أن شوكة صدام قد نمت وترعرعت في هذا الحقد ، وكانت الثمرة هى حرب الخليج واغتصاب الكويت.

في أى صف وقفت حكومة الأردن ومعها الفلسطينيون ساعتها؟! إنها أخذت صف صدام في حربه ضد الكويت والسعودية وضد باقى العرب

واليوم نجد إسرائيل تستفيد مما حدث وتتصرف بمكر دبلوماسى شديد، فتحترضن الأردن وتفتح الباب لصلح فلسطينى وتدفع أعوانها في أوروبا ليمدوا الأيدى بخمسمائة مليون دولار للأخوة الفلسطينيين ليبنوا مؤسساتهم.

إنها تجهزهم ليكونوا الحليف المضمون الأكثر ولاء وليكونوا عندما يجد الجد رأس حربتها في المواجهة الكبرى المحتملة مع باقى الإخوة العرب.. قد تخطيء حساباتها.. ولكن من يدري؟

ألم يقف الملك حسين وياسر عرفات ضد السعودية وناصر معا العدوان العراقى ضد الحق العربى.. وغلبت أطماعهما الشخصية على مشاعر العروبة ومشاعر العائلة..؟!

إن إسرائيل ترى ببصيرتها السياسية.. أن هذا الضعف النفسى

يمكن أن يتكرر.. وأنها يمكن أن تنميه وتغذيه بالأمال والأحلام.. ولا مانع من أن تكون الأحلام كاذبة.. فالزجاج يخدع أحيانا ويبدو كالناس.. والأطماع تعمى العيون.. ولا مانع من المحاولة. وبعد مأساة حرب الخليج.. ما أسهل أن يوضع العرب في مواجهة مع بعضهم البعض.. وما أسهل أن تغلب العداوة بينهم على العداوة مع الأجنبي.

إن اتفاق دمشق لم ينجح إلى الآن لأن الإخوة العرب وجدوا أن الحليف الأمريكي أكثر أمنا لهم من الحليف العربي.. إحساس كاذب.. ولكنهم وقعوا فيه.

والملك حسين.. في مناورة ذكية فتح أبواب الأردن للمنشق العراقي الهارب زوج بنت صدام ونظم له المؤتمرات الصحفية ليعلن السقوط الوشيك لعصابة صدام.. في إشارة مكررة إلى أمريكا بأنه يخطط لعراق جديد بدون صدام وثلاثي جديد من العراق والأردن وفلسطين أكثر تناغما وانسجاما مع إسرائيل ومشروع السلام الأمريكي المرتقب.

ومعنى ذلك.. مزيد من العزل لأي جبهات معارضة يمكن أن تخرج من مصر والسعودية وسوريا.. وتطويع للسياسات العربية لإسرائيل أكثر وأكثر.

إننا نتفكك أكثر وأكثر ونتحول إلى كتلات وانقسامات ومزق وشراذم تتعارك ولا تجتمع على شيء.

وإسرائيل تعرف كل نقاط الضعف في أسرتنا العربية.. وهي تلعب عليها بذكاء.. وسوف يكون التطبيع فاتحة كارثة للمنطقة وليس فاتحة خير أبدا.

ولن تعد إسرائيل الأعوان ولن تعدم العملاء في هذا العصر المنكود من خراب الذمم.. بل إن عملاءها يروجون لها في صحافتنا من اليوم ويدبجون المقالات عن عصر السمن والعسل القادم مع الحبيبة إسرائيل. إن التطبيع في غياب الإخلاص وفي غياب مشاعر العائلة وفي غلبة الأحقاد والأطماع الموجودة في أطراف إسرائيلية وأمريكية بل وعربية..

هو حقل ألغام نستدرج إليه.. وليس مائدة سمن وعسل كما تدعى إسرائيل وعملاؤها.. إن كل طرف جالس على المائدة يضع يده في جيب الآخر.

قد عقد السادات اتفاق السلام ولكنه لم يمض في التطبيع خطوة واحدة إلى الأمام ، ولم تكن الألغام قد زرعت في أراضيها وفي عقولنا بهذا العدد وبهذه الكثرة.. ولا كانت هناك ترساة نووية إسرائيلية مستعدة لإطلاق صواريخها على حدودنا.

إن الحذر واجب.. ولا داعي للعجلة.. فالظروف سوف تتغير.. وأمريكا لن تظل قطبا وحيدا منقردا بالعالم.. فالصين سوف تدخل الحلبة.. والقبطية الأمريكية سوف تتراجع.. وسوف تتبدل التوازنات العالمية إلى الأفضل.

ومصر تنمو وتزدهر.. وتتسارع فيها معدلات التنمية وتتضاعف الاستثمارات وتزداد مداخيل السياحة وكشوف البترول والغاز الطبيعي.. وقد حققنا كل هذا بدون تطبيع. وبدون دخول في هذا الحقل المشتعل بالألغام وبدون تورط في أحوال هذا التجمع الشرق أوسطى.. قمنا بهيكله الاقتصاد وعالجنا التضخم وأصلحنا العجز في ميزاننا التجاري وأنشأنا بنية أساسية من العدم بدون إسرائيل.

ومصر مفتوحة على العالم بدون وساطة إسرائيلية.. إنها «سنغافورة» أفريقيا.. إذا أوجدنا لها الظروف الأحسن.

واقتصاد مصر مفتوح على العالم بدون سوق شرق أوسطية وبدون تطبيع.

نحن لسنا في موقف الضعف ولا في موقف الاحتياج.. فلماذا العجلة؟! والمضى في التطبيع لن يعبر إلا عن إرادة الأفراد الذين سيوقعونه.. وسوف يكون ضد إرادة مصري كامل شعبها وبكامل مواطنيها.. وقد شاهدت خدم الفندق يحزمون حقائبهم ويستعدون للرحيل هربا من المصادمات القادمة مع السياح الإسرائيليين.

وما حدث أمامي كان مؤثرا بليغا لما سوف يحدث حينما نقع في

مأزق التطبيع الكامل.. سوف تبدأ الفجوة بين الحكم بكامل أجهزته وبين الشعب.. بين التطبيع القادم بالإكراه وبين عاطفة كل مصرى.. وحكومتنا رشيدة وعاقلة بدون شك ولن تقع في هذا المطب ولن تستدرج إلى هذا المصير.

ومصر أرض أنبياء.. والفطرة الدينية عميقة في الشعب المصرى.. والعلمانيون في مصر بضع عشرات لا جذور لهم ولا امتداد لهم في الشعب ولا يمثلون إلا أنفسهم.. وهم أنقاض شيوعيين واشتراكيين تساقطوا مع انهيار كعبة موسكو وانهدام المحفل الشيوعى في العالم. مصر كنيسة ومسجد.. والدين في نخاع المصرى وفي لباب قلبه. الكنيسة المصرية ليست مثل الكنيسة الأمريكية.

وإذا كان المسيحيون الأمريكيان صوتوا بأغلبية ساحقة لتكون السفارة الأمريكية في القدس فإن الكنيسة المصرية بإجماع أقرادها من الكرسي البابوى لأصغر قسيس ضد الوجود الإسرائيلى الحالى بأسره في القدس.. وشيخ الأزهر ومن ورائه كل المسلمين يقفون نفس الموقف. وهناك وسيلة واحدة للتطبيع هى اقتلاع الإسلام والمسيحية من وجدان المصرى وتحويل مصر إلى تركيا علمانية وهى استحالة.

والوسيلة الوحيدة إلى تلك العلمنة هى اقتلاع قلب مصر ووجدانها. وإذا كانت إسرائيل تحلم بأحداث هذا التغيير أو هذا الزلزال.. فإن هذا الزلزال سوف يقبرها أولا ويقضى عليها قبل أن يقضى علينا. وحكامنا العقلاء يعلمون هذا جيدا ولن يفتحوا أبواب هذا الجحيم.

وكيف نمد الأيدي لنعانق الجار الإسرائيلى وهو يهددنا بترسانته النووية ويحتل الضفة ويغتصب أراضى القدس من أهلها ويعسكر في جنوب لبنان ويصطنع له جيشا مواليا من الخونة ويحتل الجولان ويوجه راجمات صواريخه إلى دمشق.. وكل أمريكا وكل الكونجرس معه.. ونحن في العراق.

إنه التركيع لا التطبيع.

ونحن نمد أيدينا في النار في سياسة انتحارية لا مبرر لها البتة.

وحكامنا أَعقل بكثير من أن يرتكبوا تلك الحماسة.
تمهلوا يا رجال.. فإن السائر على مهل هو أول من يصل.
واقروا الفاتحة على أسراننا المقتولين غدرا وهم مكتوفى الأيدي
والأرجل.. والملقى بهم في حفر في رمال سيناء لا يعرف مكانها أحد.
وتذكروا الغادر.. والرصاصات الغادرة في الظهر.. والأيدي الجبانة
التي لا تستحي.. والأفواه التي تسيل بالكلام المعسول.
انظروا للقضية كلها من خلال منظورها التاريخي لتدركوا ذلك الكم
الهائل من الخداع الذي يجرى والذي تروج له الأبواق وتطبل له العقول
المشتراه والمخدورة.
واسألوا الله أن يهديكم فنحن نعيش في زمان يضل فيه الحليم.

رابين

قُتل رابين في محفل بين أهله وحزبه.. قتله يهودى رميا بالرصاص..
تماما كما حدث للسادات.. قُتل وسط جيشه وحكومته.. قتله
الاسلامبولى رميا بالرصاص.
الحادثان يقولان نفس الشيء.. إن السلام بشكله الحالى هو المشكلة
وليس الحل.. وإذا كان يبدو في نظر البعض أنه حل.. فهو حل في حاجة
إلى حل.
إن ما حدث كان هو التطبيع على الطبيعة.
وكما رأيناه على الطبيعة.. كان مسلسلا دمويا.. وهو في حقيقته ليس
أكثر من ذلك.

والسبب.. أن الله ليس عنده تنازلات ولا توجد عنده أنصاف حلول..
فلا إصلاح بنصف حق ونصف باطل.. ولا يمكن أن تتغير عقائد الناس
بقرار وزارى.

إنما هى أحلام أمريكية.. وأوهام عربية.
والتطبيع بصورته الحالية سائر حتما إلى صدام ليسود في النهاية
من يريده الله أن يسود.. فالكون يحكمه خالقه وليس الكونجرس.

وأكبر خطأ نرتكبه أن ننظر إلى مقتل رابين باعتباره عملاً إرهابياً فردياً.. فالقاتل لم يكن يعبر عن نفسه حينما فعل ما فعل.. وإنما كان يعبر عن كل سكان المستوطنات في إسرائيل وعن آيات توراتية يقرأها كل أطفال اليهود في مدارسهم ويؤمنون بها ويرددونها على أنها حق مطلق لا يقبل الجدل.

إننا نواجه يقيناً مطلقاً على الجانبين لن نستطيع أن يقتلعه مقال صحفي.. وما سيجرى للقدس هو مشيئة إلهية.. وما السياسات إلا مجرد أدوات لتلك المشيئة.

إنها ليست السنبلات.

إنها القدس ياسادة .. !

إنها البلدة التي بارك حولها رب العالمين.. وهي العاصمة الأبدية للأديان الثلاثة.. وكل دين له حق فيها مثل الآخر.. ولا يمكن أن تكون عاصمة لإسرائيل.

ما يجرى على المسرح السياسى العالمى يثير التأمل.. صدام حسين القائد العراقى المهزوم الذى تسبب فى نكبة أمتة ينتخبه شعبه بأغلبية ٩٩,٩٪ لسبع سنوات أخرى عجاف من حكمه الدكتاتورى الدموى.. والآلة الإعلامية الجهنمية فى العراق التى صنعت تلك الأكذوبة تهلل وتطبل وتزمر.. والشعب مشدوه.. هل هو الخوف من صدام حسين؟ أو الخوف من بديله.. أم أن الشعب العراقى المظلوم المطحون يرد اللطمة للقاهر الأمريكى نكاية وتحديا.. أم إنه التفريغ المستمر للشعب واستنزاف قياداته هو الذى أدى إلى هذا الفراغ والخواء المصطنع الذى مسح ذاكرة الشعب ولم يترك فيها إلا اسما واحدا هو صدام ولا شئ قبله ولا شئ بعده !! كما يحدث فى كل حكم دكتاتورى.

ان هذه الأغلبية الساحقة.. وتلك الأرقام الخرافية.. أصبحت شيئا مألوفًا فى منطقتنا العربية.

إنها صور متكررة لنفس النوع من الحكم.. ونفس النوع من الاعلام المسيطر المكتسح الذى يمحو تعددية الأدميين ويمحو فردية الناس ويسحق شخصياتهم فى مفرمة الرأى الواحد ويحولهم إلى نسخ مسلوقة شائهة.. وقطعان تقول: نعم.. لأى شئ.. وتهتف لأى كلام.. انها ليست علامة تقدم.. بل علامة تخلف حقيقى.. ومرحلة قديمة

عبرتها أوروبا منذ دكتاتورية هتلر وموسوليني وفرانكو وسالازار.. ولم تكررهما..

وقد جاء الوقت الذى نعبر فيه نحن أيضا فى منطقتنا العربية هذه المرحلة ونتخطاها ونتجاوزها.. كما تجاوزتها أوروبا.

ان الـ ٩٩,٩٪ ليست شرقا لصاحبها بل سبة وعارا وعجزا عن مواجهة النقد والمعارضة والرأى الآخر.

ان الله العظيم القادر الجبار لم يحصل على هذه النسبة حينما طرح خيار الايمان بوحدهانيته.. بل كانت النتيجة فى ذلك الاستفتاء الالهى أقل من ثلاثين فى المائة.. وقال ربنا فى كتابه وفى أكثر من آية وأكثر من سورة وبأكثر من صياغة.. إن أكثر الناس لا يؤمنون.. وقال عن المؤمنين.. وقليل ما هم..

ولم يقلل هذا من عظمة رب العالمين.. لأن ربنا لا يقبل أن تكون العبادة التى يياشرها خلقه هى عبادة الخوف والكراهية ولا يجب أن تكون طاعتهم هى طاعة المغلوبين المكرهين.. بل أرادنا الله أحرارا نأتى اليه باختيارنا دون أجهزة أعلام تسوقنا ودون ارهاب يقهرنا.. بل حرم ربنا الجبروت فى كل أشكاله.. وجعل من حرية الضمير الانسانى قدس أقداس لا يجوز المساس بها.. وجعلها أكرم ما خلق فيمن خلق.. وهكذا فاز صدام حسين بذلك الاجماع الخرافى الذى لا يحدث الا فى الحوادث المفتعلة بفضل أجهزة القهر التى يملكها وليس بفضل بريق شخصيته ولاجاذبية سلطانه.

وفى الجانب الآخر من العالم وفى القارة الأمريكية رأينا صورة أخرى على النقيض من ذلك تتزامن معها وتتواءمت معها.. فى اقتران عجيب لافت للنظر.

زعيم اسلامى أمريكى اسمه لويس فاراكان على رأس مليون ومائة ألف من السود فى زحف وتجمع رهيب على أبواب البيت الأبيض فى واشنطن ليعلن تضامنا مع الجماعة السوداء واصرارها على الفوز بحقوقها.

ورأينا كليفتون يقف أمام كاميرات التليفزيون ليعترف بما عاناه السود من الظلم وليعلن أنه مع الملايين في آمالهم وأحلامهم ولكنه ليس مع زعيمهم فاراكان صاحب الماضي الأسود.. ذلك الرجل الذى يقف ضد اليهود وضد السامية.. والذى سوف يفرق الشعب الأمريكى ولن يجمعه (أى أن الشوكة فى لويس فاراكان كانت موقفه من اليهود).

ورأينا الحضور الاعلامى والتكتيك الاعلامى لمحطة الـ C.N.N. يحاول أن يحجب عنا كل شىء عن تلك المسيرة الهائلة ويحاول أن يحجب عنا كل ما يقال فيها.. ثم يبرز على شاشاته كل أعداء فاراكان فى محاولة مستميتة لتسخير آرائه .. وكادت الـ C.N.N. أن تتحول إلى محطة عراقية من الدرجة الثالثة.

وحاولت الـ C.N.N. أن تسوق فاراكان إلى اعتذار علنى موجه لليهود.. ولكن الرجل قال فى لطف ودبلوماسية : لو أن يهوديا واحدا كشف لى عن خطأ ما قلته فى حق اليهود.. لما ترددت فى الاعتذار.. ولكن ليس من طبعى أن أعتذر عن حق أعلنه وأؤمن به.

ولم يستطع التحيز اليهودى لمحطة الـ C.N.N. أن يحجب القوة الرهيبة للحضور الاسلامى الذى فرض نفسه على الساحة التى امتلأت بملايين ومائة ألف صوت.. وفى المواجهة الساخنة بين الضغط اليهودى وذلك الحضور الاسلامى جاء الصوت اليهودى خافتا.. وكان ما جرى أمام العالم.. استفتاء حرا رفيع المستوى.. أعتقد أنه سوف يكون عاملا مهما فى صناعة القرار الأمريكى أمام أى زعيم قادم فى المستقبل.

وكان الهدوء الذى اتسمت به مسيرة الملايين أفضل رد على التهمة الارهابية والاجرامية التى يحاول الاعلام الغربى أن يلصقها بالاسلام والمسلمين.

وفى نفس الوقت كانت الجماعات المأجورة التى تدعى انها اسلامية تفجر القنابل والعبوات الناسفة وتقتل الأبرياء فى مترو باريس.. ومازال الغرب يؤوى تلك الزعامات ويمدها بالمال والسلاح لهدف عزيز يحرص عليه وهو تشويه الاسلام وصورته..

ولكن اجتماع المليون والمائة ألف أسود في قلب القلعة الأمريكية ومروره في سلام دون حادث واحد مغل بالأمّن.. كان رداً بليغاً مفحماً على تلك الشبهات.

ونعلم جميعاً أن الذي فجر القتال بين الجماعات الإسلامية في أفغانستان وأحوال شوارع كابول إلى حمامات دم كانت أموال الـ C.I.A. وأسلحتها وصواريخها.. وحينما بدأت الحرب تهدأ ظهر فريق الطالبان.. وهم جماعة من طلبة الشريعة.. وفوجئنا بهؤلاء الطلبة يحاربون بمائتي دبابة وطائرات وصواريخ.. من أين جاء هؤلاء الطلبة الفقراء بهذا السلاح وبهذه الملايين؟؟؟

وقالوا باكستان هي التي تمول وتسليح.. باكستان الفقيرة المدينة؟؟
ونعلم جميعاً من كان وراء باكستان.

انه نفس الحليف الغنى والقوى الذى يفضل دائماً أن يقاتل ويخرب بأيدٍ مستعارة.. ويفضل دائماً أن يختارها أيدٍ إسلامية مأجورة يدفع بها أمامنا لتملاً صفحات الأخبار.

من الذى كان يُسلح الهوتو والتوتسى في رواندا.. انها فرنسا.
ومن الذى كان يسلح قبائل الصومال.. وجماعات محمد على مهدي.. وميليشيات عبيد.. انه الغرب.. بدوله ومخابراته.
ومن الذى كان يسلح قبائل جنوب السودان الوثنية.. ومن كان وراء جون جارانج.

ومن الذى صنع الصراع المسيحى الإسلامى فى الجنوب السودانى الذى كان وثنياً بدائياً على الفطرة.

ومن الذى صنع الحرب الأهلية اللبنانية وأشعل النار بين الطوائف الإسلامية والطوائف المسيحية لمدة ست عشرة سنة.. ومن كان وراء سمر جعجع فى جريمة تفجير كنيسة سيدة النجاة فى لبنان.. انها الموساد الاسرائيلى.. ومن كان وراء العميل مارشال عون.. وأى سفارة كانت تؤويه حينما انهزم.. انها السفارة الفرنسية فى بيروت.. وقد

جاءت غواصة فرنسية لتحمله إلى فرنسا مع صناديق الذهب التي هرب بها.

انه الغرب دائما.. ودول الاستعمار القديم تحاول أن تحتفظ بقبضتها وسيطرتها.

هل يشطح الخيال إلى بعيد إذا تصور أن هناك خيطا يجمع كل هذه التحركات ويسلكها في استراتيجية واحدة وراء الكواليس.

إنها لا يمكن أن تكون جميعها مصادفات.. مادامت تصب جميعها في هدف واحد هو اشاعة الفتن والخراب والحروب والتخلف والصراعات الدموية في الدول النامية الفقيرة في آسيا وأفريقيا وأكثرها دول اسلامية منهكة مدمرة بعد استعمار طويل تحاول حكوماتها أن تستجمع قواها لتنهض وتأخذ مكانها بعد طول غياب.

ومن الواضح أن الاستعمار قد ترك آلية سياسية للتآمر وعملاء لتقسيم وتخريب تلك التركة التي خلفها لتظل تلك الدول ضعيفة فقيرة تابعة للسادة الكبار.

ولامانع من استخدام الدين واستعماله كأداة للتفرقة ووسيلة للتنافر والتقاتل ، ولامانع من استئجار الفئات الدينية المتعصبة.. ولا مانع من رشوة الجناح المتخلف من كل ديانة وامداده بالمال والسلاح.. حتى تبدو أن هذه الأديان تموت من داخلها.. وتفتى بأيدي أهلها. أنا أعلم أن هناك آراء كثيرة تنكر هذا التدخل من الخارج وتنكر مبدأ التآمر وتقول إنها ظواهر تخلف محلي ساهم فيه أصحابه ولم يسهم فيه الغرب بشيء..

وإذا صدقناهم.. فعليهم أن يفسروا لنا.. من أين جاء كل هذا السلاح وكل هذا التمويل.. من أين لحكمتيار بالمليار من الدولارات التي جلب بها كل تلك الطائرات والدبابات والمدافع.. ومن أين للتوابع الأصغر.. أيمن الظواهري ومصطفى حمزة وغيرهم بهذه الملايين من الدولارات التي يديرون بها عملياتهم.. ومن أين لمهدى وعيديد بهذا التمويل الذي ينفق به على ميليشياته.

ولماذا نستبعد أيدي السادة المستعمرين القدامى؟
وماذا حدث حينما أعلن عبدالناصر تأميم قناة السويس.
ألم يحدث الهجوم العسكرى الثلاثى من إنجلترا وفرنسا واسرائيل
على مصر فى هذا الاعلان.. ألم يكن هذا تأمرا صريحا خسيسا..؟!
وهل فعلت مصر أكثر من انها حاولت أن تأخذ مقدراتها الاقتصادية
فى أيديها.. وأن تستقل بثرواتها بالفعل وليس بالكلام.. فكان الرد
الفورى.. أن هذا الاستقلال الاقتصادى ممنوع.. وأن على الدول النامية
أن تظل تابعة وضعيفة ومتسولة وتأخذ لقمته من أيدي سادتها.. وأن
الاستعمار مستعد لأن يحارب ليحول دون تلك النهضة.. وقد حارب
بالفعل.

وما يحدث الآن فى جميع البقع المشتعلة من العالم هو نفس الشئ
ولكن من وراء الكواليس.. وباستعمال أيد مأجورة.. وعمالة مشتراه..
لتقوم بنفس الدور التخريبي.. ومازال نفس الثلاثى من اسرائيل
وأوروبا وأمريكا يتعاون معا لنفس الهدف.

والسلام الحالى الذى سلحوا فيه اسرائيل بالقوة النووية وحرموا كل
الطرف العربى من أى سلاح مقابل.. هو نفس الحرب الذكية ولكنها
هذه المرة تلبس أردية السلام وتحاول بالتفاهم أن تحصل على المكاسب
التي عجزت عنها بالحرب.. انها الحيلة الجديدة ليعودوا اليينا من
الأبواب الخلفية راكبين على الدابة الاسرائيلية.

• أقول هذا للذين صدقوا هذا السلام والذين يصفقون ويهتفون
للخنجر الذى ينغرس يهدوء وسلاسة فى العقل العربى والقلب العربى
حتى سويدائه.

وسؤال واحد أوجهه إلى اسرائيل:

كيف يلجأ الصديق إلى إرهاب صديقه ويضع القنابل النووية على
بابه.. ثم يطالبه بالثقة وحسن النوايا وبالأيدى الممدودة بالمحبة
والتعاون.. كيف..؟!

أضحكون على أنفسكم.. أم علينا ياسادة..

إن الغدر واضح تفصح عنه الأفعال.
والنوايا السود من وراء معسول الأقوال .
وأفعالكم كل يوم تكذبكم..
والذين يتكلمون باسمكم في جرائمنا أقلامهم مينة ولا تقنع أحدا..
وأفعال الدول الكبار من ورائكم.. في البوسنة والشيستان تحتل
رؤوس الصفحات وتجهر بسوء النيات.
وجماجم أسرانا الذين قتلتموهم غدرا لم تتحول إلى تراب بعد.
وأنتم تبكون موتاكم الذين قتلهم هتلر من خمسين سنة.. وتبتزون
أموال أوروبا في نزيف من التعويضات لا ينتهى.. فإذا ذكرناكم بقتلنا
أغلقتكم الملف وقلتم أنه سقط بالتقادم.
وهذه صداقتكم.. وهذه اخوتكم.
وهذا سلامكم.. فكيف نصدق؟
هى حكايات للذكرى ، لعل الذكرى تنفع المؤمنين.

القرارات القادمة منه مؤتمر بكين والدفاع المستميت عن جماعات اللواط والسحاق وعن حقوق المرأة في اختيار الدعارة مهنة إذا أحببتها ، وعن حق المرأة في أن تحمل ممن تشاء شرعا أو سفاحا وأن تجهض نفسها متى تشاء.. والنظر إلى العفة والوفاء الزوجي والطهارة الجسدية على أنها رجعية وتخلف.. وعروض الأزياء الأخيرة التي تظهر في CNN وغيرها من المحطات التليفزيونية الجادة والمحترمة والتي تظهر فيها العارضات عاريات «بليوص».. وهذه هي المرأة التي تريد أن تقاسم الرجل السلطة وأن يكون لها صوت مساو لصوته في إدارة دفة الحكم.. أى حكم هذا الذى يسوقوننا إليه .. !!!

ان أبسط توصيف لما يجرى أنه عودة إلى جاهلية.. جاهلية جديدة في عصر الفضاء والذرة والالكترونيات.. ورغم هذا العلم يعود الإنسان إلى الوراثة.. إلى جاهلية غربية يستسلم فيها لشهواته وأهوائه ويتغلب فيه الحيوان داخله ويتحكم فيه نزواته وشهواته.. وهذه المرة تطالب الشهوات بالشرعية.. وتتوج الغرائز الحيوانية لتصبح حقوقا.. وتسمى النزوات انفتاحا والشذوذ تقدما.. ثم يطلب من شعوب العالم أن تبصم وتوقع.. وتتحالف عليها ضغوط من دول كبرى تملك مقدراتها.

ومن يرفض التوقيع ويتخلف عن الركب لن يكون له نصيب في المعونات ولا في القروض ولا في التسهيلات الاقتصادية .. وسوف ينظر

إليه على أنه رجعى وبدائى وخارج عن القطيع المتحضر .
وهذه الهجمة سبقتها فى السنوات العشر الأخيرة مدفعية من الأفلام
السينمائية الهابطة والمسلسلات التليفزيونية ذات الطابع الجنسى
وكوكبة من البرامج الفاحشة التى تبثها الأقمار الفضائية .. وعشرات
من مجلات السكس ومطبوعات البلاى بوى والبومات العرى ونوادى
العرى وطوفان من الماريجوانا والكوكايين والهروين وعقاقير الهلوسة
يتدفق على الشباب من كل قنوات التهريب .. ومن قبل ذلك منشورات
الماركسية وكتب الوجودية وفلسفات الالحاد وما فعلته فى نفس
الأساس الذى تقوم عليه حضارتنا الايمانية .. وما فعلته مدارس الفن
الجديدة التى جعلت من القبح والهمجية والفوضى مقدسات وآلهة
معبودة ورموز للجمال .. فى لوحات بلا معنى ..
كل هذا كان مقدمة وتمهيدا مطلوبا قبل أن تسفر هذه الجماعات عن
وجهها فى مثل هذا المؤتمر.

كانت هناك عملية تسلل إلى الجذور وعملية تسميم للينابيع .. ثم
تكرار للمشهد العارى وإلحاح عليه فى كل فيلم حتى يصبح مشهدا
عاديا .. وإشادة بالخيانة الجنسية حتى تصبح أمرا طبيعيا مألوفا .. ثم
تصبح رمزا للثورة والتحرر والتقدمية.
ثم ها هم أولاء أخيرا يجلسون حول موائد مستديرة وعلى ملأ من
العالم .. يتحدثون فى تعامل وجدية شديدة وبدون خجل عن شرعية
اللوواط .. وحق الدعارة للمرأة إذا اختارت لنفسها الدعارة .. وحق
السحاقية فى أن تساق من تحب.

ونحاول نحن فى حياء أن نبحث للمصيبة عن صياغة أكثر قبولا
ونحاول أن نضع عبارة بديلة أكثر وقارا.
ونشعر نحن بالخجل ..
ويشعر بعضنا أنه دقة قديمة.
ويشعر بعضنا أنه ولد فى الزمن الضائع .. وأنه حفرة اجتماعية
انتهى عصرها.

ويخشى البعض أن يفتح فمه فيتهم بأنه متخلف. ولكن الحقيقة ياسادة أننا نواجه جاهلية شرسة.. وأن هناك اغتيالاً منظماً للدين والقيم والأخلاق وكل ما تعارفنا عليه بأنه نبيل وشريف.. وأن الجزء الأكبر من هذا الاغتيال مهد له التليفزيون والفيلم السينمائي والمسرح والكتاب والفن التشكيلي وفلسفات الإلحاد في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من هذا القرن، وإننا نحصد زراعات قديمة زرعوها في عقولنا وفي أذواقنا.. وأننا أطفال أسوأ تربيتهم في مدرسة الفنون وفي المحضن الإعلامي في القرن الأخير.

ماذا كان يفعل بنا التليفزيون؟؟؟

وماذا كان يفعل بأمثالنا ممن كانوا يحملقون في الشاشة الصغيرة في كل بلد على أنها واجهة التقدم وثمره العلم والعبقرية. كنا نتشرب في انبهار كل ما يظهر على الشاشة وكان طول الجلوس وإدمان النظر في التليفزيون يؤدي بنا إلى تفريغ عاطفي ينتهي بنا إلى شعور بالخواء والوحدة والإكتئاب ثم احساس بالإعياء والخمول. ولم يكن التليفزيون يجمع شمل الأسرة بل كان يفرق أفرادها ويحول كل فرد فيها إلى جزيرة منعزلة.. كل فرد كان يتحول إلى دائرة مغلقة بين عين وشاشة.. وينتهي بذلك التواصل والحوار في الأسرة وتتحول كلها إلى عيون محمقة محمرة من السهر.. كل عين في واد. وقد تحول التليفزيون في الدول النامية والشمولية إلى جهاز سيادي وآلة سياسية لقهر الشعوب قهراً لذيذاً مسلياً وأفضى إلى غسيل ممتع لمخها برضاها واختيارها.. وأصبح لونا جذاباً من الإدمان يتعاطاه الشباب للنسيان والتغيب وقتل الوقت والترويح.. ولم يكن الترويح يؤدي إلى راحة بل إلى خمول وسلبية وإعياء نفسي أكثر وأكثر. وبالتدريج فقد التليفزيون تأثيره وتحول إلى مجرد عادة مثل مضغ اللبان.. وفقد دوره السياسي، فلم يعد أحد يلتفت إلى ما يذاع أو يهتم بما يقال.. وأصبحت عين المشاهد تبحث بلهفة عن السيقان والصدور العارية والغناء المكشوف والمضمون الهابط والحوار المبتذل والفوازير والمسابقات والهزليات المضحكة.

واتخذ الأطفال من الشاشة الصغيرة ملهما جديدا ومعلما للآداب الواجبة نحو البيت فهو يتعلم من مدرسة المشاغبين والعيال كبرت كيف يعامل أباه وامه.. وأبوه هو الآخر يأخذ الدكتوراة من مسرح الشارع الذى يسهر كل يوم مع حزمى يابابا.

هذه هى الينابيع الجديدة التى أصبح يشرب منها صغارنا وكبارنا. وكان طبيعيا أن نتغير بالتدريج من الداخل.

وتلك كانت «الفرشة» والتمهيد النفسى لما يجرى الآن من اغتيال حضارى فى هذا المؤتمر الوقور الذى يمتلئ بالعلماء وأشباه العلماء وما يتردد صده من كلام كبير ومصطلحات «مكلكة» ومحاضرات علمية متخصصة موهلة فى التخصص والغموض بهدف واحد محدد فى النهاية هو أن نفقد هويتنا ونفقد أخلاقنا ونتحول إلى توابع وأجرام فضائية صغيرة تدور حول شمس الغرب التى بدأت فى المغيب.

وليست هذه نبوءة.. بل حقيقة.. فالأخلاق هى النسيج الضام الذى يصنع من الأفراد أسرة وبدونها تنفطر الأسرة فلا أخوة بدون تآخ.. ولا عائلة بدون أمومة متفرغة حانية.. ولا بيت بدون مودة ورحمة وتعاطف ووفاء.

وبيوت مشغولة باللواط والسحاق سوف تقضى على نفسها بالعقم.. حيث لا نسل ولا انجاب.

انها أمم تنتحر.. ومجتمعات تموت.

إنهم ينزلون الحب من عرشه ويضعون مكانه النزوة.

وينزلون الله من قدسيته ويضعون مكانه العلم.

ويخلعون الدين من محرابه ويضعون مكانه الدولار.

فى مستقبل محفوف بالأخطار سوف يشح فيه الماء ويسود الجفاف وترتفع حرارة الأرض وتذوب الثلوج وتغرق السواحل ويهلك الزرع والضرع.. وفى مواجهة مؤشرات بازدياد الزلازل وتفاقم التلوث.. وسوف يواجهون كل هذا بمجتمعات ينخر فيها سوس المخدرات والانحلال..

وعلماء عظام يصرخون.. يا علم.. يا هندسة وراثية.. يا كمبيوتر..
يا إلكترون.. سبحانه.

وسوف يرد عليهم ربهم الذى لم يعرفوه كما رد فى الماضى على
أقوام عاد و ثمود.

أما نحن.. فنحن للأسف أضعف من أن نرد.. ولا يملك الواحد منا إلا
أن يغلق على نفسه باب بيته.. ويرابط فى آخر ثغور المعركة.. فى خندق
ضميره.

ويسأل الله النجدة.. صارخا كما كان يصرخ موسى داعيا ربه على
قوم فرعون الذين طغوا بأموالهم فى الأرض.
﴿ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا.. ربنا
ليضلوا عن سبيلك.. ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾.

وطغيان الأقوياء بأموالهم وعلومهم أشد من طغيان فرعون
وعصابته وقد أعطاهم الله من العلوم ومن أسباب القوة ما لم يعط
فرعون فطغوا واستأسدوا وسادوا الدنيا بفسادهم وركبوا أكتاف
الضعفاء وملأوا الدنيا بضجيجهم وملأوا الفضاء بطائراتهم وأقمارهم..
ووصلوا إلى المنعطف الأخير حيث لم يكتفوا بالاستيلاء على ثروات
الضعفاء بل رغبوا فى الاستيلاء على عقولهم وضمائرهم.
وذلك هو الخندق الأخير الذى بقى لنا حيث لم يجعل الله لأى قوة
سلطانا ولا مدخلا إلى الضمير.

وذلك هو قدس أقداس النفس لا تقتحمه قوة إلا إذا اختارت النفس
أن تفتح لها الباب وأن تستسلم وتخضع لها اختيارا.

لا توجد قوة فى الأرض تجعلنى أحب رغما عنى مالا أحب.. وأرضى
رغما عنى مالا أرضى.

وهذا هو المخبأ الوحيد الذى تبقى لى والذى لا تستطيع أن تدمره
قنبلة ذرية أو هيدروجينية.

فلا تيأسوا يا إخوتي مادام في كل منكم ضمير حى واردة رافضة لكل هذا الذى يجرى.
وفى كتاب المواقف والمخاطبات للنفرى يقول ربنا لعبده مؤكدا على تلك القوة التى جعلها الله فى داخل الانسان :
يا عبد.. أنت منى.. أنت تلىنى.. وكل شىء فى الوجود يأتى بعدك.
لا شىء يقدر عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك.. فأنت أقوى من الأرض والسماء.. أقوى من الجنة والنار.. أقوى من الحروف والأسماء.. أقوى من كل ما بدا فى دنيا وآخره.
وهذا يا إخوانى هو العبد الربانى الذى لا يخشى شيئا ولا يهاب شيئا.
ولا شىء يقدر عليه.. ولا قوة ترهبه.. ولا طاغوت يصل إليه.
وهذا هو مخبؤنا الأخير من فساد هذا العالم وطغيانه وتلك قوتنا حينما نفقد كل قوة.
ونحن بخير.. ونحن بمنجاة من هذه الجاهلية مابقى إيماننا ومابقيت ثقتنا بالله وبكتابتنا.

حينما بدأ العدوان الغادر على البوسنة وتدفقت الأسلحة الثقيلة والمساعدات لتشد أزر المعتدين الصرب.. من جانب روسيا واليونان وبلغاريا ورومانيا وبلغراد.. واقتحم عساكر الصرب أرض البوسنة يهتكون الأعراض ويغتصبون النساء ويحرقون المساجد ويمزقون المصاحف ويذبحون الأطفال أمام أمهاتهم في غزوة بربرية تشمئز منها النفوس.. وكان الطرف المعتدى عليه نساء وشيوخا وأطفالا وشبابا ورجالا لاسلح في أيديهم سوى بنادق قديمة.. كان لابد لأطراف المؤامرة أن يخترعوا عذرا لعدم التدخل حتى لايفتضح تخاذلهم ومكرهم أمام رأى عام غاضب ورافض.

سمعنا الرئيس بوش ساعتها يقول بلهجة حاسمة : إن مايجرى في البوسنة هو حرب أهلية وخلافات عرقية وتصفية حسابات قديمة وأن الحل الأمثل هو الحل الدبلوماسى. وفي الوقت نفسه، حظر السلاح على الأطراف المتحاربة وهو حظر لم يطبق إلا على المسلمين بينما ظل السلاح الثقيل يتدفق على الصرب.. والحجة التى ابتدعها في ذلك وصارت مثلا هى.. لاننصح بإمداد المسلمين بالسلاح حتى لايطول أمد الحرب.. والأفضل هو التفاوض والحل الدبلوماسى.. لمنع إراقة الدماء.. ويالها من حجة عجيبة أدت إلى عكس منطوقها وأراقت الدماء أكثر وأكثر ولمدة ثلاث سنوات.

وفوجئنا بجون ميجور يقول نفس الكلمات.. وميتران يردد نفس الكلمات.. والأمم المتحدة تقول نفس الكلمات.. وبطرس غالى يكرر نفس الكلمات فى آلية وببغاوية عجيبة.. لاتمدا المسلمين بالسلاح حتى لاتطول الحرب ويزداد نزيف الدم.. والمقصود طبعاً هو توفير دم الصرب.. لأن دم المسلمين مباح.

وكان عذراً أقبح من ذنب.. وحجة متهافئة.. ومنطقاً مقلوباً لا يقبله عقل.. وقلت فى نفسى : ترى ماذا كان يحدث لو أن أمريكا لجأت إلى نفس الحجة حينما استنجدت بها بريطانيا وأوروبا فى حربها مع هتلر.. وقال روزفلت وأيزنهاور ساعتها : لآنصح بإرسال السلاح.. حتى لاتطول المعركة ويزداد عدد القتلى وتراق الدماء أكثر وأكثر.

وقلت : لوفعلوها.. لما كان هناك الآن جون ميجور ولا ميتران ولا أى رئيس أوروبى ولا أى دولة أوروبية.. ولما كان هناك سوى ألمانيا النازية. والهدف الشرير والخفى من هذا المنطق المقلوب كان إبادة الطرف المسلم ومسح اسم البوسنة من الخريطة.

إنهم كذابون ..

لقد ابتلعوا كلهم أكبر حق من حقوق الإنسان وهو حقه فى أن يدافع عن نفسه وحرموا القتل من السلاح الذى يرد به غائلة الموت.. ونطقوا إفكاً.. وقالوا زوراً.

وطالت الحرب البوسنية رغم هذا لأكثر من ثلاث سنوات والجنود المسلمون يجابهون الموت كل يوم بأسلحة خفيفة.. واقتضح التخاضل والتآمر الغربى وشعر البعض بالخجل وبحثوا عن أسلوب أكثر ذكاء ليغطوا به على تآمرهم.. ورأينا كلينتون يطالب برفع حظر السلاح عن المسلمين ورأينا فريق الكونجرس يتكلم ضده ويرفض.

وفى جولة أخرى تقرر أغلبية الأصوات فى الكونجرس رفع الحظر.. فيرفض كلينتون.. توزيع أدوار هزلى وغبى.. وحدث نفس الشئ فى فرنسا وفى إنجلترا.. أصوات تقول: نرفع الحظر وأصوات تقول: لانرفع

الخطر.. غطاء كوميدى لجريمة تاريخية قذرة تورط فيها الكل.. ويستقيل وزراء من ألمانيا ومن فرنسا وقد شعروا بالمهانة ولقد شعروا كلهم بالفعل أن حجتهم أصبحت «ماسخة» وأصبحت لاتجوز على أحد وأن التمثيلية التى حبكوها طلعت «بايخة».

وبحثوا عن غطاء جديد ليغطوا به وجوههم التى شامت. وتفتقت أذهانهم عن عبارة جديدة.. سمعتها أول مرة من أمريكا ثم من فرنسا ثم من إنجلترا.. عبارة مختصرة جدا من كلمتين.. هى.. فات الوقت.

فات الوقت على أى فرصة لإرسال سلاح.. فالأسلحة الثقيلة سوف تحتاج لشهور أخرى لنقلها إلى ساحة المعركة ثم شهور أخرى للتدريب عليها.. وفى ذلك الوقت يكون الصرب قد أنهوا الحرب واحتلوا الأرض كلها ولم يعد هناك مجال لعمل شىء.

وكذبوا مرة أخرى.

بل هم الذين كذبوا أنفسهم بأنفسهم.. فقد بادرت ألمانيا بوساطة من بابا الفاتيكان بإمداد الجيش الكرواتى بأسلحة ثقيلة فورية ودفع الفاتيكان الفاتورة.. وقام الجيش الكرواتى بهجوم كاسح على الصرب المعتدين فى كرايينا وطردهم منها فى فلول وطوابير وأرتال من السيارات الهاربة.. مائتا ألف صربى تحولوا إلى سرب من اللاجئين فى أربع وعشرين ساعة.

وحدث هذا منذ شهور أمام أعين الكل على شاشات التليفزيون. إذن.. لم يفت الوقت ياسادة.

وأوروبا إذن.. كانت تستطيع أن تنجد وتسعف حينما تريد.. وقد أرسلت نجداتها للأخوة الكروات الكاثوليك.. ولكن الكاثوليك أمرهم مختلف.. فعندهم من ينجدهم.. ومن يدفع لهم.. أما المسلمون فكلينتون يقول لهم : فات الوقت.. ويقولها جون ميجور.. ويقولها شيراك.. فات الوقت.. للأسف الشديد فاتت الفرصة ياسادة.. ولكن الوقت لم يفت.

وإذا كان الوقت يفوت فالكبار هم الذين يفوتونه بعدم الرغبة في عمل شيء.

وموقف الجماعة الأوروبية وموقف إنجلترا وموقف روسيا وموقف أمريكا موقف مهين.. وهو للأسف موقف من الإسلام والمسلمين بإطلاق.. ومايجرى لمسلمي الشيشان وأذربيجان وكازاخستان وبورما وكشمير والبنان والفلبين وفلسطين وليبيريا.. هل سمعتم عما يجري في ليبيريا.. ومايفعله جيش تشارلز تيلور (وهم جنود من أصل أمريكي زنجي americo liberians بدأوا غزوهم لدولة ليبيريا بالإطاحة برئيسها صمويل دو ثم انطلقوا يبيدون الشعب الليبيري المسلم وهو يمثل ٣٥٪ من المواطنين ويبلغ حوالي المليون.. وقتلوا وشردوا خمسين ألفا وأحرقوا الدعاة والأئمة بصب البنزين عليهم وإشعال النار فيهم وفصلوا رؤوس آخرين عن أجسامهم وعلقوها على المنابر وقطعوا ألسن المؤذنين وهم أحياء وبقروا بطون الحوامل وأحرقوا المساجد وتسقوا المدارس الإسلامية ونهبوا المتاجر واغتصبوا الفتيات أمام أعين أهليهن.. وكان تعليق النائب الديمقراطي الأمريكي إدوارد كيندي أمام الكونجرس أيامها.. إنها من أسوأ المآسي الإنسانية المهيمة والمنسية في عالمنا. والسؤال الذي يقفز إلى الذهن..

من أين جاء تشارلز تيلور بالسلاح الثقيل والذخائر والتموين لجيشه ومن أين جاء بالأموال وكيف تناسى الإعلام الغربي ما يجري من مذابح في أرض الذهب والماس في افريقيا التي تنتهك وتغتصب في غفلة من العيون.. لقد ذهب التليفزيون إلى راوندا ليصور مذابح الهوتو والتوتسي وكلهم وثنون ولم يقترب من أرض ليبيريا ليكشف ما يجري لمسلميها وإنما أسدل عليها ستارا مربيا .

هناك حملة صليبية جديدة يأسدة تقودها القوى الصهيونية. بدأوها باتهام الإسلام بالإرهاب وتشويهه (وهم الذين صنعوا هذا الإرهاب ومولوه واحتضنوا أقطابه) حتى يجدوا مبررا لهجمتهم الشاملة على كل ديار الإسلام لكسر شوكة المسلمين وإضعاف الدول الإسلامية

وإرهابها تمهيدا للهيمنة الإسرائيلية القادمة.. إنها حرب عامة.. وتزامنتها في أكثر من دولة وفي أكثر من قارة.. في وقت واحد ليس مصادفة.. بل تم بتدبير وتوقيت وإعداد وتخطيط سابق.

وهذه الحرب على بابنا ونحن هدفها.

وما عملية السلام إلا عملية تخدير واستراتيجية مرحلة.. وهو سلام بالاسم فقط ولكن القتال والنسف والتفجير والهجوم بالطائرات والصواريخ واغتصاب أراضي القدس وطرد ساكنيها يجرى كل يوم ويملاً أعمدة الأخبار.. والقنابل يسقطون والدماء تراق.. ونحن شهود عصر رهيب .

لقد أدخلونا نفقا مظلماً من التعمية السياسية والتعمية الإعلامية والكلمات المضللة وهم يحلون مشاكلهم بالقتل والغزو.. وعلينا نحن أن نحل مشاكلنا بالمفاوضات .

والأسلحة النووية محظورة علينا.. والأبحاث النووية محظورة.. والأسلحة الكيماوية محظورة.. والأسلحة الميكروبية محظورة.. والتوسع في الأسلحة التقليدية أيضاً محظور.. وقد أباحوا لأنفسهم كل تلك المحظورات وأكثر منها مما لا نعلمه .

ولكننا شهود عصر ويجب أن نتكلم.. وهم بكل ذكاء يضعون في أفواهنا الكلمات والصيغ والمصطلحات التي ننطق بها.. فنقول كما يقولوا.. فات الوقت ولكن الكلمة أمانة.. والكلمة مسئولية.. والكلمة هي الشرف الذي تبقى لنا .

وهي أضعف الإيمان حينما نبلغ نهاية الممكن ولا نملك أى وسيلة للفعل والتغيير .

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ (٧٠ - الأحزاب).. كمبيالة ربانية بالفوز العظيم رهنها الله بصدق الكلمة .

وفي الآية التي تليها مباشرة .

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (٧١ - الأحزاب) .
 مما يدل على أن الأمانة المذكورة في الآية هي أمانة الكلمة والقول السديد والعقل الرشيد الذى لا يباع ولا يشتري.. وأن الكلمة هي المسئولية الأولى التى سوف نحاسب عليها ونثاب عليها ونعاقب عليها.. لأنها أضعف الإيمان وأقل الحيلة حينما تغلق فى وجوهنا الأبواب وتنقطع الأسباب .

ثم إننا هدف تلك الإغارة الشاملة.. ولن يعفينا السكوت عن المغيرين ولن تعفينا مسايرتهم ولن تعفينا مجاملتهم ولا المشى فى ركابهم .
 ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (١٢ - البقرة) .

لا فائدة ولا مخرج ولا حل تفاوضى ولا حل دبلوماسى.. والمجابهة سوف تقع حتما.. والصليبية هذه المرة صليبية يهودية وهى مثل سابقتها أيام صلاح الدين قادمة من أوروبا من يهود ونصارى أوروبا.. وكما حدث فى الأولى سوف يقف نصارى مصر معنا وليس معهم.. لأنهم من النصارى الذين قال فيهم القرآن :

﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ (٨٢ - المائدة) .
 فهم أهلونا وإخوتنا وهم أتباع المسيح حقا وسفراء محبته وهم يعلمون أن الصليبية القادمة لا علاقة لها بالصليب ولا بالمسيح.. وإنما هى استعمار يهودى وغزو وتوسع وأطماع ومصالح.. والذين يرفعون عليها نجمة داود وصليب المسيحية يكذبون ويزورون .

وحكومات المنطقة قد آثرت أن تسير على هدى المثل القائل :
 (الباب الى جيلك منه الريح سده واستريح) فاختارت المسالمة والمسايرة والمهادنة وهو حل وقائى مؤقت ولكنه لن ينجى من المقدور.. فالريح قادمة وسوف تتحول إلى عاصفة ثم اعصار يكسر النوافذ وينسف الأبواب ويهدم الجدران على من فيها .

وانظروا إلى ما يجرى في العالم وإعتبروا.
ولا تصدقوا الكلام المعسول.. فالناس مواقف وأفعال وليسوا مجرد
تصريحات .

وتأهبوا للأسوأ.. وأفيقوا يا عرب المنطقة ومسلميها ونصاراها لما
يراد بكم وبنا ولا تقفوا مع الظالم فإنه ضدكم ولن يرحمكم .
إنى أقرع الأجراس من سنين ولا أحد يسمع.. والحوادث تتوالى
بالنذر ولا أحد يرى.. وأتمنى أن أكون مخطئا في حساباتي.. فلا أحد
يحب الدمار ولا أحد يريد الحرب لنفسه ولا لغيره.. ولكن مواقع الدول
الإسلامية على الخريطة كلها تشتعل .

وأنا لست حفار قبور وإنما أنا فنان عاشق جمال يتمنى أن يرسم
سهم كيوبيد على جذع شجرة .

ولكنهم للأسف قطعوا كل الأشجار.. ونسفوا كل كبارى الاتصال..
وانفردت لغة القوة بالضعفاء في العالم.. وأمسكت أمريكا بعجلة
القيادة.. والله وحده يعلم إلى أين ستسير بنا ؟!

حريتك الجنسية

التوصيات الجديدة في وثيقة بكين تحمى حريتك الجنسية والشكل
الجنسى الذى تختاره لنفسك بين خمسة اختيارات.. أن تكون مخنثا
تضع سوتيانا على صدرك أو تربى شاربا إذا كنت امرأة.. أو تكون
لوطيا تمارس الشذوذ مع أمثالك من الرجال وتتزوج رجلا مثلك.. أو
تكونين سحاقية تباشرين الشذوذ مع امرأة مثلك وتتزوجينها بعقد
شرعى.. أو تكون عادية تقليديا وموضة قديمة في اختيارك مثل أجدادك..
وذلك لأن من حقوق الإنسان الأولى في نظر الوثيقة أن تحترم اختياراته
وخصوصياته .

والوثيقة تحض على المساواة في الميراث بين الإناث والذكور.
ولا توجد محاذير في مزاولة الجنس في الوثيقة سوى ضرورة
استخدام العازل الذكري للأمان من انتقال مرض الإيدز .

وللمرأة الحق في الوثيقة أن تختار الدعارة مهنة لها مادامت تحبها..
والوثيقة لا تعترض إلا على اكراه المرأة على الدعارة .
والوثيقة تحطم كل العوائق السياسية والانتخابية التي تحول بين
المرأة والتسلق إلى ذروة السلطة لتحكم العالم وتكون بلقيس الجديدة في
سنة ألفين.. وهى في مجملها تحطيم صريح للأسرة وللأعراف الخلقية
واللعفة وللحياء ولمقررات الدين والقطرة السليمة التي أرادها الله
لمخلوقاته.. وبالتالي فهي مرسوم هدم للمجتمع من أساسه .
والسؤال الذى يلح على الأذهان :
ما هى القوى الحقيقية وراء هذه القنبلة الناسفة للقيم والأخلاق
والدين والمجتمع وما هى الأيدى الخفية التى تريد بنا هذا الدمار؟ .
من هم الذين يخططون لهذا الخراب؟ .
ولماذا يحشد العالم وتحشد الدول وتحشد التنظيمات لتسقى هذه
الجرعة المخدرة والقاتلة لكل عرف نبيل وكل قيمة شريفة؟ .
ماذا يريدون بدنيانا؟ .
اقرأوا بروتوكولات آل صهيون وسوف تجدون فيها الجواب .

أيام قليلة يقضيها السائح القادم من الشرق في أوروبا يكتشف فيها الفرق الشاسع بين الشرق والغرب.. فسوف يجد في أوروبا النظافة والنظام والتكنولوجيا المتقدمة وارتفاع مستوى ونوعية الحياة للمواطن وتأمين العامل والمرأة والمريض والمعوق والعجوز الذى تقدم به العمر والحفاظ على البيئة من دخان المصانع وعوادم السيارات ومن الأيدي التى تلوث الطريق أو تقطع الشجر.. حتى الشجرة هناك من يحميها ويدافع عنها ويعاقب من يعتدى على حياتها.. وإلى جوارها شجرة أخرى أكثر عراقة هى شجرة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان التى نبتت من دم الحروب والثورات وما زالت تنمو وتتعتثر.

ولا نجد هذا في بلادنا ولا في دول الشرق السعيد التى تفتخر بأنها تدين بالإسلام دين النظافة والعدل والرحمة والعطف على المساكين ودين الحرية وحقوق الإنسان من قبل أن تظهر في الغرب كلمة حقوق الإنسان .

ومن المؤكد أننا فهمنا إسلامنا فهما خاطئاً.. وأكثر من هذا أننا استعملنا إسلامنا في هدم أهدافه وتعاليمه ذاتها.. واستعملنا كلمات القرآن لنطفىء بها نور القرآن .

وأول وأكبر خطأ كان فهمنا لكلمة.. الإسلام لله.. وإسلام الوجه لله ومفهومنا للقدر ولما يجرى به القلم ولما كتبه الله في لوحه المحفوظ .

وكان مفهومنا لكل هذا سلبيا تماما.. فما دام الله كتب وقضى وأبرم.. فما الداعى للكد والعمل والاجتهاد.. وبذلك حولنا إسلامنا إلى سلبية كراهية وكسلا وتواكلا بغیضا.

وفي هذا المفهوم تدليس على النفس وعلى الله.. فلا أحد يعلم ما كتب الله ولا ما قضى ولا ما أبرم.. ولا أحد يدري ما جرى به القلم ليرتب عليه هذا الكسل .

وثانيا : أن أمر الله كان صريحا بالحث على الجهاد والاجتهاد تم توقيفه لقضائه على مدى هذا الجهاد والاجتهاد .

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (٦٩ - العنكبوت) .

فهنا رتب الله قضاءه بالهدى على جهاد النفس.. وجعل من عمل العبد مقدمة ضرورية لتوفيق الرب ولما سيجرى به القلم .

ولا نحصى الآيات التي نزلت في الأمر بالعمل فهي مئات.. وما جاءت آية بالإيمان إلا وقرنته بالعمل الصالح.. الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. ومنها الكثير.. بين صفحة وأخرى في كتابنا الكريم.. فلا عذر لمن يلجأ إلى هذا التدليس .

وما أمر الله بالتواكل بل بالتوكل الذي يقتضى استقراغ الوسع وبذل الجهد قبل إخلاء الطرف والتسليم وطلب التوفيق من الله .

ولما سئل النبي عن القدر.. وقال له المسلمون.. ولماذا نعمل ما دام الله قد كتب لنا أقدارنا؟.. قال لهم النبي في حسم:

«بل أعملوا فكل ميسر لما خلق له» .

أى على العبد أن يعمل ما وسعه العمل وعلى الله التيسير لكل نفس على قدر جهادها وعلى قدر لياقتها وما يصلح لها.. فكل واحد ميسر عند الله لما يصلح له .

وكانت الخطيئة الثانية هي مقولة السلف.. لا اجتهد مع نص.. وهو

أمر صريح بتعطيل العقل تماما وإعفائه حينما توجد هناك نصوص وما أكثرها.

وكانت نتيجة هذه الوصية هي توقف الاجتهاد لمدى قرون وتحول آيات القرآن إلى حفريات متحجرة محظور لمسها أو إعمال الفكر في معانيها ومع أن النبي عليه الصلاة والسلام ضرب لنا مثلا مختلفا في آية قطع اليد وهي نص صريح من نصوص الشريعة لا استثناء فيه.. فرأينا النبي لا يقطع يدا في الحروب وهو استثناء لم يرد به النص، وضرب خليفته عمر بن الخطاب مثلا آخر فلم يقطع يدا في مجاعة وهو استثناء لم يرد أيضا في الآية.. اعتمادا على صريح العقل الذي يقول : إن الجائع الذي يسرق طعامه غير ملوم.. واعتمادا على أن قطع يد السارق المسلم في الحرب سوف يؤدي إلى منكر أسوأ من السرقة هو هربه إلى صف الأعداء وتحوله إلى خصم لدود للإسلام بعد أن كان معه . والفهم في الحالين فهم عقلي.

وهو سنة صريحة تجعل من التفكير شريعة واجبة ومن العقل حجة ملزمة ومن أن تعطيل العقل غير إسلامي بالمرة.. وما كان حقا لعمر فهو حق لكل مسلم عاقل مجتهد .

والعقل لا يجوز تعطيله في الإسلام إلا في حالة واحدة هي البحث في ذات الله وحديث النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الصدد صريح.. «فكروا في آيات الله وفي أعماله ولكن لا تفكروا في ذات الله فتهلكوا» .

وهذا هو الاستثناء الوحيد.. والأمر الوحيد بتعطيل العقل.. وقد قال به الفيلسوف الألماني «عمانوئل كانت».. في كتابه نقد العقل الخالص.. حينما قال أن إدراك كنه الله بالعقل مستحيل.. لأن العقل البشري ليس معدا لهذا اللون من الإدراك.. وإنما هو معد فقط لإدراك معطيات الحواس ثم استنباط القوانين منها.. ولكنه غير معد لإدراك كنه أو ماهية أى شىء.

وفي كتابه الثانى نقد العقل العملى.. قال: إنما ندرك وجود الله

بالبصيرة وليس بالعقل كما نرتب على إحساسنا بالعطش احتياجنا للماء وضرورة وجوده.. كذلك نرتب على شوقنا للعدل (مع عدم وجوده في الدنيا) ضرورة وجود الاله العادل في الآخرة.. وهو إدراك لوجود الله وليس إدراكا لماهيته ولا كنهه .

ويكون بذلك قد التقى التقاء تاما مع الحديث النبوى الشريف الذى جاء قبل «عمانويل كانت» وفلسفته بألف عام.. ونصح بعدم الخوض بالفكر أو بالعقل في موضوع الذات الالهية .

وهذا هو المجال الوحيد المحظور على العقل.. وفيما عدا ذلك فالعقل معد للتفكير والتدبير والإجتهد في فهم القرآن وفي تدبر شرائعه وفي كل شئون الدنيا .

ولكن المسلمين أثروا الكسل وأثروا إغلاق باب العقل في كل شىء ومسحوا كسلهم في الإسلام والإسلام منهم برىء .

ولم يقف كسلهم عند القرآن وآياته وإنما امتد إلى البيئة وإصلاحها وإلى الكون ومحاولة فهم قوانينه وإلى العلوم بكافتها وإلى السياسة والمجتمع والمرأة والحياة وإلى دنياهم كلها التى انحدروا بها إلى الحضيض .

وباستثناء نهضة محدودة في صدر الإسلام ظهر فيها رواد عظام في كل فرع من قروع العلم مثل ابن سينا في الطب وابن رشد في الفلسفة وابن الهيثم في الرياضيات وجابر بن حيان في الكيمياء والرازى في الجراحة وداود الانطاكى في الصيدلة وابن خلدون في فلسفة التاريخ وابن بطوطة في الجغرافيا والرحلات وغيرهم. عادت أستار الجهل والتخلف فانسدت على الأمة الإسلامية وفتحت الباب لاستعمار غاشم مفترس اقتحم أراضى المسلمين وداس على مقدساتهم وقضى على ما تبقى من آثار إيجابية في تاريخهم .

واليوم.. ونحن نحاول أن ننهض.. ونحاول أن نلحق بركب التقدم.. ويظن بعضنا من العلمانيين أن الإسلام عقبة.. ويصر البعض الآخر من

السلفيين على التحجير على كل فكر وعلى تعطيل العقل وتكبيله بالقيود.. والحق يقال إن هذا الفريق من المسلمين هم العقبة الحقيقية وليس الإسلام.. فالإسلام أطلق الفكر وفك العقل من عقاله.. وأكثر من هذا اعتبر العقل والحرية.. هما الأمانة التي في عنق كل مسلم.. الأمانة التي قبلها كل البشر منذ العرض الأول الذي عرضه رب العالمين على خلقه .

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (٧٢ - الأحزاب) .

لقد أخذ الإنسان الأمانة وهي أمانة عقله وحريته وقبلها على أن يعمل بها ويصونها .

وكان أكثر البشر خيانة لتلك الأمانة هم مسلمو هذا الزمان.. إذ لم يعملوا بها ولا حافظوا عليها.. فلا حرية في أكثر دول الإسلام ولا ديمقراطية وإنما حكم طغاة وسيطرة أفراد وأحزاب وأهواء.. ولا علم ولا إبتكار ولا اختراع ولا استنهاض للفكر والعقل في شيء.. ولا فكر مستنير حتى في دينهم الذي تعللوا بصيانتته والحفاظ عليه من تمرد العقل وانطلاقه.. وكانت ثرواتهم نكبة على إسلامهم .

وباستثناء عهود قصيرة وزعامات قليلة خيم الظلام والتخلف على أمة الإسلام.. وفي تسميتنا لها بالأمة الواحدة.. مجاملة.. فهم في الحقيقة شراذم وجماعات لا رابط بينها.. والعداوات بينهم أكثر من الصداقات .

وقد ظهر هذا واضحا فيما جرى للبوسنة.. فلم تتحرك تلك الدول لنجدة الأخت المسلمة إلا كلاما وتصريحات وتبرعات وهي ما زالت تقدم رجلا وتؤخر أخرى وكأن ما يجرى للإسلام والمسلمين يجرى في المريخ.. ولا يجرى على بابهم.

ولم يتخلف المسلمون لعجز في امكانياتهم.. فما زالوا رغم تخلفهم.. أغنى أمم الأرض بالامكانيات وبكنوز الطاقة وبالخامات فوق الأرض وتحت الأرض وتحت البحر.. وما زالوا أغنياء بالأعداد البشرية وبالعقول الفذة .

ولكن الكارثة.. أن العقل الإسلامى مقيد.. والفكر مكتوف الأيدي والجامعة الإسلامية متحجرة واقفة في مكانها.. ويقول الجاهل من المسلمين: هذا ما جرى به القلم .

ونقول لهم: هو ما جرى للكسالى بسبب كسلهم.. وللسليبين بسبب سلبيتهم.. ولا دخل للإسلام فيما جرى.. فهم الذين كتفوا إسلامهم بأيديهم وأطفأوا مصابيحهم وهدموا مناراته .

اقرأوا قرآنكم من جديد بعقول متحررة وقلوب متفتحة .

وابحثوا في سنة نبيكم عليه الصلاة والسلام.. في سلوكه وفي أخلاقه وفي تفكيره وفي أحاديثه.. ولا تقفوا عند مواصفات جلبابه ولحيته.. فهذا لمس للمحاربة دون اللؤلؤة .

أخرجوا اللؤلؤة من محارتها والجوهرة من كنزها والنور من القبو الذى أقفلتموه عليه .

كفاكم وقوفا وتحجرا عند هذا الإسلام السطحى المظهرى الذى يكتفى بالقشرة دون اللب .

غيروا ما بنفوسكم حتى يغير الله ما بكم وانهضوا للعمل حتى يجرى عليكم القلم بما يرضيكم.. وأحبوا بعضكم بعضا حتى يجرى القضاء بما ينصركم.

هبوا من رقدة القبور .

فقد طال بكم النوم وأوشكتكم على خسران دنياكم وآخرتكم.

وإلى الغاضبين لهذا النقد الذين يرددون قائلين:

ولماذا لا تذهب إلى الخليج لتشاهد إمارات كالجواهر وقصورا تدار بالريموت كنترول ومحطات أقمار صناعية وتكنولوجيا متقدمة وصناعات بترولية تسير وراء التكنولوجيا الأوروبية حذو النعل بالنعل؟

أقول: هذه مدنية مستوردة وتكنولوجيا منقولة مشتراه وهى تسير

وراء أوروبا ولا تسير أمامها.. والذين نقلوها لهم ثوابهم وأجرهم وما فعلوه خطوة مشكوره.

ولكننى لا أتكلم عن مدنية بل عن حضارة.. والحضارة ليست قصورا بالريموت كنترول ولا عمارات كالعرائس تغازل العيون.. ولكن الحضارة فكر وفن وابداع واختراع واشعاع دينى وعلمى يغير التاريخ.. وهى أشياء لا تشتري ولا تستورد وإنما هى انفجار نووى سلمى محلى يضىء الأرض من حوله ويغير عقول الناس وعقائدهم وأحوالهم إلى الأحسن والأقوم .

الحضارة هى التى تخرج لنا أمثال نيوتن وأينشتين وماكس بلانك وبيتهوفن وهى التى تلد لنا أمثال غاندى وفولتير والمنتبى والجبروني وابن الهيثم .

وقد صنعها الإسلام مرة.. ويمكن أن يصنعها مرة أخرى .

الحضارة هى ثمرة وجدان الشعوب وعقلها حينما يتوهج وليست وليدة ثراء يشتري مظاهر من هنا وينقل من هناك .

الحضارة مناخ حرية وفكر حر خلاق يحفز ويشجع ويخرج من الجماعات البشرية أحسن ما فيها .

والمدنية حكاية متاحة وسهلة.. وأغنياؤنا فى كل مكان يشترونها وينقلونها مشكورين.. ولكن الحضارة انبعاث أمة وميلادها وهى لا تشتري بمال الأرض وعنهما أتكلم وفى همومها أعيش .

والنقل بداية طيبة وخطوة محمودة.. والغرب أبتدأ بالنقل عن علماء المسلمين.. وأفلاطون وأرسطو جاء على مصر ودرسا فى جامعة أون فى عين شمس ونقلنا عن الحضارة الفرعونية القديمة علومها وتوحيدها قبل أن تكون لهما مدرسة فلسفية مستقلة ومنارة فكرية أضاءت على العالم من أثينا القديمة.. والحضارات تتلاقح وتتزاوج وتتجرب وأحياناً تتصارع وتتقاتل وتصاب بالعقم.

وأخشى أن يحدث هذا في عصرنا.. وأسوأ استعمال للإسلام في عصرنا ولا شك هو ما فعله الإرهابيون الذين وضعوا على جرائمهم بطاقة الجهاد الإسلامى وذهبوا يقتلون ويخربون ويدمرون ويفسدون بإسم الدين والدين يلعنهم .

والتاريخ حركة لا تكف عن الصعود والهبوط والجريان في القنوات التى يشقها العقل فسادا وصلاحا .

وكل ما أرجوه أن يكون لنا نصيب في هذه الحركة بما نملك من صرافة الوحي ومن ديانة ولادة وبما نملك من عراقة وأصالة وتاريخ ارتوى من حكمته الأنبياء ، وليس بالرجاء وحده سوف يكون لنا صوت، وإنما بكفاح وعرق آلاف من أبناء هذه الأمة الذين سيضعون بكفاحهم الأساس .. لتقوم عليه بعد ذلك الحضارة المرجوة.. وتضىء المنارة التى طال إنطفأؤها .

انهضوا وفكوا عنكم قيودكم وفكوا عن هذا الدين قيوده .

أطلبوا المعالى بالسهر والعرق والكدح وليس بالإسترخاء أمام التليفزيون وقراءة البخت في الجرائد والبكاء على المكتوب يرحمنا الله ويرحمكم الله .

نعم.. أنا لا أرى اليوسنة تموت .. بل أراها تولد .. تولد من
مخاض الآلام والحروب ومن صهير المحن والبلايا.. تولد طاهرة
مضيئة لتكون إسلاما جديدا ربانى الجذور محمدى الملامح.. وشمسا
تطلع من الغرب على الجانب المظلم الوثنى من العالم.. وأرى فى عزت
بيجوفتش وحارس سيلايديتش وشاكر بك وفى شامل باسييف البطل
الشيشانى الذى أنطلق يحارب المستحيل وقد عصب رأسه بعصابة
لا إله إلا الله.. أرى فى هؤلاء.. الصحابة الجدد الذين قال عنهم نبينا أنهم
يظهرون فى آخر الزمان.. الواحد منهم بخمسين من الصحابة الأول .
وحيثما يسأل الصحابة القدامى النبى فى دهشة.. بخمسين منا
يارسول الله.. يقول : نعم.. بخمسين منكم.. فأنتم تجدون على الخير
أعوانا.. أما هم فلا يجدون على الخير أعوانا .

وقد تحققت كلمات الرسول عليه الصلاة والسلام بحذاقيرها قرأينا
فتية يصمدون فى حرب مع المستحيل ثلاث سنوات لا يجدون من
إسلامنا المتخاذل إلا كلاما بينما تتكاتف عليهم دول الوثنية المادية
مسلحة بالدبابات والمدافع والهاونات والصواريخ وتمطرهم بوابل من
الموت والدمار وتغزوهم جحافل الظلم والبربرية فلا تتحرك من جانبنا
إلا إذاعات وتصريحات وعلى الأكثر تبرعات .

وذلك إسلامنا الصورى بطول وعرض أمتنا العربية وشريعتنا التى أفرغت من الرحمة والمعنى .
وذلك إسلامهم الحى المناضل الذى يقطر دما وصدقا وثباتا ورجولة .

ولن يخذل الله هؤلاء الفتية أبدا وسوف يثيبهم وينصرهم.. لأنهم رجاله بحق.. وسوف تولد الجمهورية الفاضلة التى عجزت فلسفة أفلاطون عن خلقها فى اليونان القديمة.. سوف تولد بوسنا جديدة فى الجوار اليوغوسلافى فى قلب أوروبا الوثنية لتكون نورا يشع على العالم الجديد.

إن الخزى الذى أراه على وجوه حكام أوروبا وهم يحاولون اختلاق الأعذار والتماس المبررات وكل منهم يلقى بالمسئولية على الآخر وقد وزعوا بينهم الأدوار ليقول أحدهم نفعل ويقول الآخر لانفعل.. وقد ظهر التآمر على وجوههم الصفراء وبدت نواجزهم تقطر حقدا.. وأتذكر ما قال الله فى قرآنه

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .
وإنهم لذلك.. هم فى المقدمة والتنظيمات الصهيونية فى المؤخرة فى مقاعد صنع القرار حول كل حاكم.. ألم تنشر الجرائد الفرنسية أيام حكم ميتران أن كل مستشاريه من الماسون.

إن ضرب الإسلام فى أوروبا مقدمة لضربه فى بلادنا العربية.

هناك على يد الصرب وهنا على يد إسرائيل.

وكالعادة تسبق جراحات البتر.. عملية التخدير والبنج.

والاسم الحديث للتخدير قبل البتر .. هو محادثات السلام

والـ Peace process

ونحن غرقى فى الـ Peace process وفى النوايا المعسولة.. وفى غيبوبة من الطبل والزمر والانفجار السكانى وكفاح لقمة العيش وفوائد الديون وصندوق النقد الدولى وفى الإرهاب والفتن التى حفروها بيننا وبين كل دولة من دول الجوار.

وأصدقاءنا الذين يمدون إلينا الأيدي بالسلام ليسوا أصدقاءنا بل أعداءنا.. وهذه أخلاقهم في أوروبا مع قلة بوسنية لاخطر منها.. وليس فيها أصول متطرف واحد ولا إرهابي متهوس ولا رجل ملتج ولا امرأة منقبة.. وإنما هي قلة من المسلمين الخواجات.. ولكنه الرعب.. الرعب من انهيار الأرض التي يقفون عليها، فالمسيحية تنهار في أوروبا والكنائس تباع بالمزاد لتتحول إلى نواد ليلية والشباب يتصرف إلى الرقص والمخدرات والعلاقات الجنسية الحرة وبابا الفاتيكان يتجه إلى أفريقيا يأسا من أوروبا وشبابها.

وفي هذا الانهيار العقائدي العام يتسلل الإسلام إلى القلوب.. ويدخل في الإسلام عشرين ألف شاب وشابة سنويا في إنجلترا في آخر إحصاء بريطاني.. وفي أمريكا خمسة أضعاف هذا العدد.. وتلك مؤسساتهم.. ولا حل لها في نظرهم سوى توجيه ضربة إلى الإسلام تسدد إليه في القلب وهو ضعيف وفقير وممزق لتنتهي القضية برمتها. ونحن شهود هذا التآمر.

وسوف نكون شهودا لهذا العدوان المقبل. وأرجو ألا يأخذ حكامنا حكاية السلام مأخذ الجد.. وإذا كانت تمثيلية السلام لامفر منها.. فإن التطبيع العاجل ليس له مبرر واحد.. والراحل أنور السادات الذي بدأ السلام لم يأخذ خطوة واحدة في طريق التطبيع رغم الضغوط عليه من كل جانب.

ولينظر رجلنا الحصيف عمرو موسى إلى مايجرى في البوسنة قبل أن يقول نعم.. في أي شيء.

وليتذكر رئيسنا أن الرصاص الذي انطلق عليه في أرض حبشية وببسهيلات سودانية.. وبأيد مصرية ليس إلا الواجهة الظاهرة.. أما ما وراء الواجهة.. فتتنظيم أجنبي عالمي ومدد غزير وسخى من الملايين من الأصدقاء الأعداء.. والمدد مستمر.. وهو يزداد سخاء وإصرارا يوما بعد يوم.. بل إن السودان ذاتها ضمن من شملته الرشوة والعمالة. وقد تكون اليد التي ترشو عربية والخزانة التي تغدق أجنبية

والرصاصات التي تنطلق مصرية.. وكل شيء جائز في الشبكة العنكبوتية التي وقعنا فيها.. ولكن الظاهر دائما لا يدل على الحقيقة. وإذا أردتم الحقيقة.. انظروا إلى مايجرى في البوسنة.. فهناك في العراق.. انكشف كل شيء.. وافتضح الأعداء بحق.. وعرفوا.. دولة.. دولة.. وواحدا واحدا.

إن البوسنة هي الملحق التفسيري لكل مايجرى في العالم.. فليس في تلك القلة البوسنية ما يخيف.. ولا ما يبدو خطرا على أوروبا المسلحة حتى الأسنان.. ولكن الإسلام نفسه هو الدين المرفوض والمخيف.. وأن تكون لهذا الدين دولة ولو بضعة ألوف ولو في رقعة من بضعة هكتارات في القارة الأوروبية العريضة هو الأمر المستحيل.

وهذا الخوف الموجود من قديم تنفخ فيه القوى الصهيونية الآن وتبالغ فيه وتصنع منه هدفا للحرب المشهورة وشعارا للعصر.. وذلك لاستثماره في خطة أبعد هي بناء دولتها الكبرى.. وهي تعلم أنه لن تكون لهذه الدولة الكبرى قيامة إلا بعد إزاحة الإسلام وإضعافه وتخريبه.. ومن خلال هذا المنظور يمكن أن نفهم كل مايجرى على الساحة الدبلوماسية من نشاط سلمى وعدوانى وكل مايجرى في الخلفية من إرهاب وجرائم وتشويه للإسلام والمسلمين.. وكل ما يدفع من مليارات ولماذا يدفع بهذا السخاء ولماذا يدفع وكيف يدفع؟ وقد يسأل سائل.. ولماذا كل تلك المساندة المبالغ فيها للطرف الإسرائيلي بالمال وبالسلح وبالدعم السياسى.. ألا يبدو الأمر غير طبيعى!!؟

وهو بالفعل غير طبيعى والسبب أن الولادة المنتظرة ولادة غير طبيعية والمولود به عيب خلقى.. فإسرائيل الكبرى التي سوف تولد ليست كبرى.. وإنما هي قزم سياسى نفخ فيه ليكون عملاقا كاذبا وبالتالي سوف يحتاج إلى ولادة قيصريّة أو ولادة بالجفت ولا بد من التغطية على الخدعة بإطلاق الشعارات ودق الطبول وإشعال المباحر والمجامر وإنفاق الأموال في الدعاية الكاذبة وتكديس الترسانات النووية

والكيميائية والميكروبية والتخويف بالموت والدمار طول الوقت لكل من يقترب أثناء الولادة العسرة.. ولا بد من التضليل والتعتيم على الحقائق وخلق جو إرهابي كهنوتي ماسوني وبناء هيكل أسطوري.. لأن هناك أسطورة كبرى سوف تولد اسمها إسرائيل.

ولكن القزم الذى سوف يولد محكوم عليه بالموت رغم كل أساليب الإنعاش والعناية المركزة والأموال والتضحيات والفتن والدم والخراب الذى سيتكلفه العالم ليحمى ذلك الميلاد.. وتلك إرادة الهية لامهرب منها وقضاء قضاه الله فى كتابه.. فقد قضى الله أن تكون هناك إفسادتان وعلو كبير لإسرائيل.

أما الإفسادة الأولى فقد كانت فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام حينما حرض اليهود جميع القبائل لقتال المسلمين فى غزوة الأحزاب وأوشكوا على القضاء على الإسلام فى مولده لولا أن أرسل الله ريحا عاصفة شتت شمل القبائل المقاتلة ومزقت خيامهم وكفأت قدورهم وأعادتهم مرعوبين من حيث أتوا.

وتأتى الافسادة الثانية بعد أربعة عشر قرنا من الأولى وفى زماننا وعلى نفس النسق بتحريض المجتمع الدولى كله على الإسلام والدفع بجيوشه فى كل مكان لقتال المسلمين فى البوسنة والشيستان وكشمير وأفغانستان والفلبين وبورما وفلسطين .. وذلك بعد دعاية منظمة لوصم الإسلام والمسلمين بالبربرية والإرهاب.

ثم سوف يأتى التتويج النهائى لهذا الإفساد بتحريض جيش متعدد الجنسيات والدفع به لغزو وإرهاب المنطقة العربية.. وهنا سوف يأتى التدخل الإلهى الثانى وتأتى كلمة الختام للجماعة الباغية فيقول القرآن: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ﴾ (أى ميقات الإفسادة الثانية) ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴿

أى ليدخل المسلمون القدس كما دخلوها أول مرة ويدمروا كل ما شيدت إسرائيل من هياكل وكل مارفعت من بناء. ولايكشف لنا الله كيف سيحدث هذا.. وكيف ستنقلب الكفة فتنهزم

الكثرة أمام القلة.. ولا كيف ستنهزم الترسانات الهائلة أمام السلاح القليل.. ولكن يبدو أن رجحان الكفة سيحدث كما حدث في الإفساد الأولى بتدخل إلهي، وكما حدث مع أفيال أبرهة التي جاء بها الغزاة من الحبشة لهدم الكعبة فأرسل عليها الله الطير الأبابيل.. وكما نصر الله نبيه بالرعب في غزوة بدر.. فهكذا كانت تأتي النجدة الإلهية كلما اختلت الموازين وكما طغت الكثرة الباغية على القلة الصابرة المناضلة من المؤمنين.. حينما يستنفذ المؤمنون كل طاقتهم وحيلتهم.

وحينما يأتي الأوان ليكتب التاريخ في المستقبل وتدون الملحمة بكاملها سوف يذكر المؤرخون ما حدث في البوسنة كعلامة مضيئة وفصل من فصول النضال الباهر ومقدمة كانت يجب أن تنبه المسلمين إلى ما يدبر لهم.. ونذير كان يجب أن يلفت نظرهم ويفتح بصيرتهم على ما يخبيء لهم الغيب.

وهانحن أولاء شهود تلك العلامات والنذر نرى ما يجري في البوسنة يوما بيوم.. فهل انتبهنا.. وهل أدركنا ما يدبر لنا.. وهل أبصرنا ما يخبيء لنا الغيب أم مازلنا أنصاف نيام في غيبوبة الطبل والزممر؟! .

عجيب أمرنا نحن المسلمون.. نعبد الها واحدا.. ونطوف حول
كعبة واحدة.. ونتوجه في صلاتنا إلى قبلة واحدة.. ونصطف في
المسجد صفا واحدا.. ونقول جميعا.. آمين.. في نفس واحد.. ومع ذلك
لكل منا إسلام خاص به يختلف عن إسلام الآخر.. وكل منا يفهم
الإسلام على طريقته ويباشره في حياته بمفهومه الخاص .
وقد تفرقت الجماعة الإسلامية إلى سنة وشيعة وأباضية ودروز، بل
إن الشيعة نفسها تفرقت إلى زيدية واثنا عشرية وإسماعيلية وعلوية
وبهرة وبكتاشية وخرج منها غلاة عبدوا عليا ورأوا فيه ابنا لله واعتقدوا
أن الرسالة أخطأته ونزلت على محمد، والأكثرية التزمت جانب الاعتدال
وقالت: بل كان أولى بالخلافة.. ولم تزد.. وبين هؤلاء وهؤلاء تعددت
الفرق.

وبعيدا عن الطرق والمذاهب اختلف الناس بين مدخلين للإسلام..
المدخل السلفي الأصولي، والمدخل الصوفي.
وفي المدخل السلفي تمادى الأصوليون في الشكلية وفي الالتزام
الحرفي بالنصوص وفي ظاهرة سلوكيات المسلم.. طريقة إطلاقه للحية
وتقصيره جلبابه.. وللمرأة نقابها وحجابها.. وفي الشريعة طبقوها في
صرامة دون محاولة للفهم وللتعمق في مقاصد الشريعة ذاتها.. بينما
اهتمت الصوفية بتطهير الباطن ومجاهدة النفس وبالتربية الخلقية
وتحصيل المقامات.. مقامات التوبة والأخلاص والصدق والصبر

والشكر والمراقبة والمحاسبة والتقوى والورع.. وتركت الظاهر لأهل الظاهر وقالوا: نحن عمدتنا القلب وغايتنا اللب وليس القشر .

والكل مسلمون ولكن شتان بين فهم وفهم .

وأنا أرى الآن أن القرآن لم ينحصر في أى من هذين المسلكين بل كان في مجموع آياته يمثل الوسط العدل بينهما والجامع الأمين بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن.. وأن المذهبية والحزبية أفسدت الإسلام تماما .

والقرآن في مجموع آياته شىء غير القرآن في آية واحدة مبتورة من سياقها أو بضع آيات نزلت في مناسبة أو حكم متشدد نزل في ضرورته. ولا يمكن فهم الإسلام إلا من خلال القرآن كله بمجموع آياته.. فهو يفسر بعضه بعضا وما غمض في آية توضحه آية أخرى وما أجمل في آية تفصله آية ثانية .

والتشديد لا يجيء في القرآن إلا لضرورة.. أما السياق القرآنى العام فهو سياق عفو ومغفرة وسماحة ويسر .

﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سياكم المسلمين من قبل﴾ (٧٨ - الحج) .

﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ (١٧ - الحج) .

وسلوك النبي عليه الصلاة والسلام وهو المؤشر إلى التفسير الصحيح للقرآن هو الحلم بعينه وهو المنهج السهل بعينه، لا تزمت ولا تشدد ولا تنطع ولا وقوف عند الفهم الحرفي للنصوص.. وكمثال حكاية الرجل الذى جاء يروى للرسول كيف اختلى بأمرأة ونال منها ما يبتغى «دون إدخال» ودون مباشرة.. فأطرق النبي عليه الصلاة والسلام ولم يعلق وقام للصلاة فنزلت الآية .

﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ (١١٤ - هود) فنصح الرجل بالصلاة والإكثار من النوافل .

ولم يقم عليه النبي حد الزنا رغم اعترافه واعتبر ما حدث من «اللمم» أي الذنوب التي تغفر والتي تجبرها الصلاة والتوبة .
ويذكرنا هذا بالمسيح عليه السلام حينما رفض أن يرجم «المجدلية» الزانية وقال لمن حوله : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر .
ولم يشهد المسيح ولا نبينا عليه الصلاة والسلام من بعده ذلك العصر الرديء الذي نعيش فيه والذي تدعو فيه أجهزة الإعلام وأغانى الإذاعة وأفلام السينما وتمثيلات التليفزيون إلى العلاقات الحرة، والأقمار الفضائية التي تباشر الزنا علنا وجهارا نهارا وتغرى الشباب بالصورة والكلمة والحركة إلى المسارعة في قضاء الشهوات وإلى التسابق في المتع الحرام .

ماذا يكون موقف الشريعة من هذا العصر الذى شاعت فيه البلوى؟؟
وماذا يفعل الشباب.. والزواج بعيد المنال.. هل يدخل فى جب تحت الأرض؟؟

وهل شبابنا فى هذا الحال جانبا أم مجنيا عليه؟؟
وفقة شيوع البلوى له مكان فى شريعتنا.. عملا بالمبدأ القرآنى..
حينما كانت الخمر بلاء شائعا فى أول الدعوة فنزلت الآيات مخففة تعاتب شارب الخمر ولا تغلظ عليه وتتدرج فى التحريم على مراحل..
ويذكرنا هذا بالفقيه الإسلامى الذى سألوه أن يقيم حد الخمر على الحاكم التترى (وذلك بعد إسلامه) فرفض وأثر تركه فى غيبوبة السكر ليكف ظلمه عن الناس . وقال : إن تطبيق الشريعة عليه وامتناعه عن الشرب وعودته إلى وعيه وعافيته سوف تؤدى إلى منكر أشد بعودته إلى جبروته وظلمه .

وفى هذا يقول العوام : « نوم الظالم عبادة » .
ومنذ ذلك اليوم سارت كلمة الفقيه مثلاً.. وأصبحت مبدأ مقرا من مبادئ الاجتهاد له أنصاره.. إنه إذا أدى تطبيق الشريعة إلى منكر أشد كان عدم تطبيقها أولى.. وأنه لابد من فهم الشريعة الإسلامية فى

إطار مراد الله بها وقصده من نزولها وهو صلاح أمر العباد وليس شقاؤهم .

فالله يقول: ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ .

هكذا كان شأن الاجتهاد عند المفسرين الأوائل .. وهكذا كان شأن العقل والفهم والتدبر والتفكير .. ولم يظهر التشدد والتحجر والانغلاق على الألفاظ .. إلا مع قرون التخلف وتوقف الإجهاد وظهور الدعوات الأصولية التي تزايد على بعضها ويسابق بعضها بعضا في الغلظة وفي الرجم والجلد .

وليس في كلامنا تهوين من أمر الشريعة فهي حبة قلب المسلم وسواد عينه ولا يملك المسلم العابد أمام كلمة ربه إلا السمع والطاعة .. وإنما هي الغيرة على الكلمة وقداستها من أن تفهم على غير وجهها وتستعمل في غير حقها فتكون ذريعة إلى ظلم برىء .. بل نحن أشد حبا للشريعة من الذين يطبقونها في عمى .

ولقد تكاثرت دعاة الأصولية الغلاظ وتنافسوا في القسوة وفي مطاردة المسلمين وإرهابهم بالنصوص حتى نفروهم من دينهم .

ولكن رحابة القرآن وآفاق رحمته تجاوزت كل هؤلاء ولم تنزل آية رجم واحدة في القرآن كله رغم حمل القرآن بشدة على الزانى والزانية ونزول حد الإيذاء وحد الجلد وحد السجن وتبشيع القرآن للفاحشة ومرتكبيها .. وترك الله الأمر لاجتهاد العقول واختيار الأصلح في كل عصر مع ضرورة العقاب في جميع الأحوال .. وقال في قرآنه: ﴿ اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم ﴾ .. وذلك ليفتح الباب للتأمل والتفكير والتدبر واختيار الأحسن بين الآيات المتعددة .. وكلها حسن، ولكن المقصود من الأحسن - والله أعلم - هو الأصلح لكل عصر .. والله يعلم مسبقا ماذا سيكون شأن هذا العصر الذى نعيشه من شيوخ البلوى فيه ومن انتشار الفساد والفقر والبطالة والانحلال وتكالب الأعداء على الإسلام من كل جانب وهوان حال المسلمين وانقسامهم وتشقتهم وبوارهم . وكل هذا يكشف عن عمق القرآن ورحابته وتعدد آفاقه بحيث تغطى

آياته التشريعية كل العصور.. ويكشف عن روح التسامح وإيثار العفو وإيثار فهم التشريع على الوجه الأصح لحياة المسلمين .
وهو يكشف أيضا عن المرونة وعدم الجمود ورفض الغلظة إلا في ضرورتها القصوى حين يقتل القاتل ظلما وبغيا فيتوجب القصاص.. ولهذا اختلف الناس أمام فهم القرآن وانعكست نفس كل قارئ في لون تفسيره.. فغلاظ القوم لم يشهدوا من القرآن إلا آيات النكال.. والرحماء شهدوا رحابة التشريع وانفساح آفاق التفسير أمام الفهم الأرحب والأرحم.. واختلفوا والكتاب الذى يقرأونه واحد.. وما اختلفوا بسبب الكتاب بل بسبب نفوسهم.. وهذه مشكلة الحكومات الأصولية والفرق المتشددة.. ومرضى النفوس ومرضى القلوب وهواة التشفى من كل جنس .

ولقد نزلت الآيات بهذا التلوين لتمدحن القلوب ولتمدحن النفوس ولتختبر المعادن.. والقرآن هو الشاهد على الكل وهو الحجة ولا يصلح القرآن ذريعة لظلم أو جبروت بل هو قاموس الرحمة بعينه .
والمختلفون من أهل الشقاق والنفاق شهدت أعمالهم على كفرهم.. فما اختاروا بغلظتهم القرآن حكما بل اختاروا نفوسهم.. وآثروا رغباتهم الانتقامية واتخذوا من القرآن ستارا وذريعة لقساوتهم .
وصدق الله العظيم فى خطابه لرسوله :

﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ (٢ - طه). فالقرآن هو الباب إلى النعيم ولا يمكن أن يكون بابا للشقاء ولا بابا لكل هذا الخلاف والفرقة والأنقسام.. ولا بابا لكل هذا الإرهاب والأجرام والقساوة.. وإنما اختلفت النفوس التى تقرأ وتفهم وتفسر.

ولهذا قال ربنا عن قرآنه: ﴿يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾ (٢٦ - البقرة). وما أكثر فساق ومجرمى هذا الزمان الذين اتخذوا من القرآن ذريعة لإجرامهم وستارا لإرهابهم .
وهؤلاء هم الذين أضلهم الله بقرآنه.. وكشفهم أمام الناس وأمام نفوسهم وفضح ضلالهم وكفرهم .

ولا مفر من الاختلاف بحكم اختلاف النفوس واختلاف الطبائع..
قال ربنا عن الناس:

﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (١١٨ - ١١٩ - هود) .

وهذا الاختلاف أزل من قبل أن تولد النفوس وتجيء إلى الدنيا، وسببه ثبوت وصف تلك النفوس في علم الله من الأزل، وهذا الوصف هو ما أرادته النفوس لنفسها أزلا وليس ما أرادته الله لها . فالله لا يريد إلا الخير لكل الخلق . ولقد فطر البشر على الحرية والاختيار وكانت النتيجة أن اختلفوا حسب أهوائهم .

قال ربنا.. ولذلك خلقهم.. ليميز الخبيث من الطيب ولتكون خاتمة كل مخلوق على وفاق نيته .

وكانت العاقبة في النهاية أن امتلأت بهم جهنم ولم يدخل الجنة إلا القليل، واستلزم الأمر الفرز والتصنيف وتفاضل الرتب والمنازل لأن هذا كان مقتضى العدل والله أعدل العادلين .

وكان البديل الآخر أن يستووا عند الله رغم اختلافهم.. أن يستوى القاتل والقتيل والظالم والمظلوم.. وأن يستوى البر والفاجر، وأن يقدم الله للجميع حفلة شاي في الآخرة احتفالاً ببعثهم.. وهو الأمر المحال .

تعالى ربنا عن مثل ذلك العبث علوا كبيرا .

قال ربنا: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾ .

ومعنى ذلك أن داخل الجنة لن يدخلها بعمله بل بفضل الله ورحمته . وتلك هي النعمة الربيعية الجميلة التي تهب من أول صفحة في القرآن إلى آخر صفحة.. من أول مفتاح الفاتحة.. بسم الله الرحمن الرحيم.. إلى آخر كلمة.. والحمد لله رب العالمين.. بعد أن يتم الحساب .

ولقد اختار ربنا لرحمته من استحقها من الخلق.. وهو أعلم بقلوب خلقه ولولا رحمة ربك لهلكنا جميعا .

وبين النار والجنة ذلك الخيط الرفيع بين المؤتلف والمختلف.. بين الذين أسلموا للحق وانسجموا معه في كتيبة الخير.. وبين الذين أعرضوا

وتفرقوا واقتتلوا.. وليس بالشعارات ولا بالبطاقات سيكون الدخول للجنة فما أكثر الذين حملوا شعار لا اله إلا الله وخانوه وحملوا بطاقة المسلم ولم يسلموا لشيء سوى هوى نفوسهم .

وتظل الوسطية والأعتدال هي النعمة القرآنية السائدة من أول آياته إلى آخرها والذين تطرفوا في الأخذ بالظاهر والذين تطرفوا في الأخذ بالباطن إنما أخذوا من القرآن ما ناسبهم ولم يأخذوا به كله .

ومحمد عليه الصلاة والسلام وهو القرآن الحي الذي يمشى على الأرض ماعرفناه إرهابيا ولا عرفناه مجذوبا غائبا عن الوعي في سكرة الوجد مثل مجاذيب الطرق الصوفية ، إنما عرفناه يقظا منتبها حاضر الذهن عقله مع الناس وقلبه مع ربه يعيش الواقع ويلتحم بالدنيا ومع ذلك لا يغفل عن خالقه لحظة..

وذلك هو الصراط المستقيم.. لا يمين فيه ولا يسار.. بل خط رفيع كالسيف.. من أصابه فقد عرف جادة الإسلام.. ولهذا جعله الله أسوة لنا جميعا واختاره قدوة ومثالا.. وأرسله نبيا.. وقال له ما لم يقل لرسول.. وإنك لعل خلق عظيم.. فمن أصاب تلك الوسطية العظمى فقد أصاب حظا من ذلك الخلق العظيم.. ومن أخطأها فهو مسلم بقدر اقترابه من هذا الوسط الأمثل وهو صاحب الأخلاق بقدر حظه من الاعتدال.

والأخلاق في أصلها هي الأسماء الحسنى لله.. الكريم الحليم الرحيم الودود الرؤوف الصبور الشكور البر العفو الغفور الغفار الرزاق الحكم العدل النافع الهادي الرشيد.. فكل هذه أخلاق مثلى.. والله المثل الأعلى.. وبقدر ما يحصل العبد من هذه الأخلاق يكون عند الله عبدا ربانيا ويكون عند الله مسلما حقا.

وفي الحديث.. «تخلقوا بأخلاق الله إن ربي على صراط مستقيم».

وجمعية تلك الأخلاق هي الأصولية الحقيقية في ديانتنا إلى جانب الإسلام لله في كل شيء وتوحيده وتمجيده وتسبيحه وعبادته وطاعته والإيمان بكتبه ورسله والقدر خيره وشره والآخرة والبعث والحساب..

هذه هي الأصولية ولا دخل لها بإرهاب ولا بتطرف ولا بمظهرية كاذبة ولا بشكليات فجة.

ويجمع النبي عليه الصلاة والسلام كل هذا في جملة واحدة:
« قل : لا إله إلا الله ثم استقم » .

فيضع كل مكارم الأخلاق تحت كلمة الاستقامة وكل مقررات الإسلام في كلمة لا إله إلا الله.. وذلك للتأكيد على أن الإسلام دين فطرة وبساطة وليس دين فلسفة وحذقة وتنطع وجدل.. فالأمر أبسط من كل هذا.. بل هو ثلاث كلمات.

وأصحاب النيات السليمة يفهمون هذا ببدايتهم ولا حاجة لهم بجدل ولا بتنطع وأصحاب النيات الخبيثة.. المشكلة فيهم وليست في الدين.

وبين الاثنين ذلك الخيط الرفيع بين الجنة والنار.
ولذلك قال ربنا في أهل الجنة.. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (أى عن النار مبعدون).

كان هذا أمرا سبق نزولهم إلى الدنيا وهم مجرد نفوس.. سبقت لهم من الله الحسنى بناء على علمه بنياتهم من الأزل ومن قبل أن ينزلوا إلى عالم الامتحان والابتلاء ودنيا أسفل سافلين.

هم إذن أهل الجنة من قديم والآخرين أهل النار من قديم.. وإنما قضى الله بالامتحان والابتلاء حتى تنقطع الحجة.. وحتى لا يكون لأحد عذر.

ويبقى بعد ذلك السؤال.. كيف كنا في ذلك الأزل قبل الخلق وكيف تفاضلنا.. ومتى وأين؟

أم أنه لا أين ولا متى في الأزل.. حيث لحيث.. وحيث لا مكان ولا زمان.. تلك من أسرار الغيب التي لا يعلمها إلا الله.. ولن يكشف عنها الستار إلا بعد الموت والبعث.. والعرض مستمر.. والقصة ممتدة فصولا.. وفيها مصيرنا كله.

وضعوا أيديكم على قلوبكم.. فليس الأمر بالهزل.

يقول الله في حديث قدسى .. الاحسان كان قصدى من الخلق.
وموضوع القصد من الخلق كان دائما محل سؤال .. لماذا خلقنا
الله.. ولماذا خلقنا على هذا الاختلاف فى النفوس والأبدان والطبائع
والمقادير.. ولماذا خلق هذه الدنيا بحروبها وشرورها، وما الحكمة فى كل
هذا؟!

والأصل فى القضية أن الله لايسأل عما يفعل.. وأن ما فى نفس الله
من مقاصد هى أسرار لا نعلمها.
يقول المسيح عليه السلام لربه.. ﴿ سبحانك ما يكون لى أن أقول
ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى
نفسك ﴾ (فما بنفس الله لا يعلمه إلا الله).. ولماذا خلق الكون بهذه
الصورة والناس بهذه الطبيعة.. هذا شأنه.. ولكن لنا مدخل فى الفهم
والمدخل الوحيد إلى تلك القضية هو ما قال الله عن نفسه فى القرآن وما
ذكره فى أحاديثه القدسية.

ويتفق القرآن والحديث على أن مقصود الله من الخلق هو الإحسان
والإنعام والإكرام والعطاء.. وذلك بحكم أسمائه.. الخلاق والرزاق
الوهاب الحليم الرؤوف الودود الرحمن الرحيم السميع البصير العليم
العفو الغفور البر التواب الهادى المغنى المعز الباسط الرافع المجيب
الفتاح.

وتقتضى تلك الأسماء من الله الكرم والإحسان والإنعام والعطاء والرحمة والمغفرة لخلقه.

وبحكم ما نفخ فينا الله من روحه يصبح لنا نصيب من تلك الأسماء.. فيصبح كل منا سميعة بصيرا عليما كريما زحيما هاديا خلاقا رزاقا حلوما رؤوفا ودودا على قدر استعداده وعلى قدر بشريته.. ونأخذ هذا النصيب إنعاما منه وإحسانا وتفضلا وكرما.

وإنعام الله علينا بالوجود والرزق والقوت هو إحسان عام يشترك فيه المؤمن والكافر. ومن يستحق ومن لا يستحق فالشمس تطلع لتدفيء الجميع والمطر ينزل ليسقيهم ويروى زروعهم والهواء بما فيه من أوكسجين متاح مجانا لكل لا يمتنع على كافر ولا يحتبس على جاحد ملعون.

وتبقى بعد ذلك الأسماء الجلالية لله.. وهى الجبار والمتكبر والقابض والخافض والمانع والمذل والمنتقم والمهيمن. يتعامل الله جل جلاله بها مع مقتضيات الشر في الوجود.. ومنع الجبارين والطغاة والظالمين.. ليحفظ التوازن ويقيم العدل مع خلقه .

وقد جاء الشر في الوجود بالضرورة وبحكم الحرية التى أتاحها الله للإنسان وبحكم استخلافه وتسليمه الأمانة ليتصرف ويحكم بمقتضى : ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.. ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾ .

ولو أنه أكره الكل على عبادته وقهرهم على صراطه المستقيم لما كانت هناك فضيلة يستحق أن يثاب عليها أحد ولما استحق المؤمن جنة على إيمانه ولا الكافر عذابا على كفره ولما كانت هناك حكمة للحساب ولا للبعث ولا للآخرة أصلا .

وإنما اقتضى العدل الإلهي أن تكون هناك حرية واختيار وابتلاء وامتحان لكل مخلوق .

واقترضت اختياراتنا الحرة أن نختلف ونفترق شعوبا وأحزابا وأن نختلف بذلك مقاديرنا ونحفظنا تبعاً لتباين صفاتنا .

وأيضاً اقتضت الحرية الخطأ واقتضى الامتحان إمكانية السقوط والنجاح .

وبالتالى الشرور بأنواعها.. وقدر الله لهذه الشرور دنيا لها بداية ونهاية وزمن محدود لحياتنا تطوى بعده أعمارنا وتقام الموازين ليكون بعدها آخرة.. الإنعام فيها دائم للأخيار. والحرمان دائم للأشرار.. بناء على ثبوت تلك الأوصاف لكل من اتصف بها. وفي جميع الحالات يكون هذا الاحسان والحرمان خيرا كله لأنه العدل والقسط.. والعدل هو حسن الختام وهو الخير كله.

يقول الله فى قرآنه : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ﴾ (ومعنى ذلك أن جميع هذه الأعمال خير.. الاعزاز والاذلال هما عين الخير لأنه العدل والقسط والمقام المناسب لأهل العز وأهل الذل.. لكل ما يناسبه ولكل ما يستحقه) . قاله هو الحق.

والمقصود من الخلق هو احقاق الحق.. واحقاق الحق هو الخير كما أن العدل والقسط هما الخير.. ﴿ ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ (٨٥ - الحجر) .

وصدق الله العظيم حينما يقول فى حديثه القدسى مجملا القضية كلها: كان الإحسان قصدى حينما خلقت الخلق .

فكل صنيعه إحسان وكل فعله انعام.. وقد انعم بالوجود على الجميع مؤمنهم وكافرهم وما أتى بهم إلى الدنيا كرها وإنما طلب الجميع منه أن يوجدوا وتوسلوا إليه أن يخرجهم من برزخ الامكان إلى دنيا الواقع فأستجاب لتلك النفوس وأخرجها واعطاها اليد والقدم واللسان والعقل وافسح لها عمرا زمنيا تعيشه لتفعل ما تشاء.. لتسئ أو لتحسن حسب مرادها.. وكان يعلم مسبقا بما ستفعل.. ولم يكن فى هذا العلم ما يناقض حرية اختيارها.. كما يحدث أن يعلم الواحد منا مسبقا بالقراسة أن ابنه هذا سوف يرسب فى الامتحان وأن ابنه الآخر سوف ينجح.. فيرسب هذا وينجح ذاك كما تنبأ.. دون أن يكون له يد فى

رسوبه أو نجاحه .. وبصيرة الله أعظم وعلمه أشمل .
وقد خير الله السماوات والأرض والجبال فيما يعرضه عليها .
﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾
وإذا كان هذا شأنه سبحانه وتعالى مع السماوات والأرض والجبال
فكيف لا يخير الإنسان في مجيئه وهو أكرم خلقه .
فالإنسان مخير حتى في إيجاده وإخراجه من برزخ الامكان إلى دنيا
الواقع .

وقد طلب أن يوجد وتوسل لربه أن يخرج من حالة عدم الفعل التي
هو فيها وأن يعطيه القدرة على الفعل فأعطاه ما أراد .
ويعتقد الشيخ الأكبر. ابن عربى.. فيما هو أكثر من ذلك.. أن النفوس
كان لها قدم في برزخ الامكان.. وأنه كان لها ثبوت وصف وكان لها
تشخص وأن كل نفس خرجت من ظلمتها وهى تنوى وتضمّر ما تريد .
ودليله على ذلك من القرآن.. يقول ربنا في سورة يس : ﴿إنما أمره إذا
أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (٨٢ - يس) ونفهم من كلمة يقول له
أن الشيء كانت له كينونة قبل أن يخرج إلى الوجود بحيث يخاطبه ربنا
موجهًا إليه الأمر.. ونفس الصيغة تتكرر في سورة مريم - ٣٥ والنحل -
٤٠ والبقرة - ١١٧ وآل عمران - ٤٧ وغافر - ٦٨ مما يدل على تأكيد
المعنى .

وقد خلق الله الأنفس وسواها وألهمها امكانية الفجور وامكانية
التقوى وأعطاهما الامكانيتين ولم يخلق نيتهما ولم يتدخل فيما تضمّر وما
تختار بل تركها حرة .
هل كان هتلر ينوى كل هذا الذى فعله قبل أن يأتى إلى الدنيا
ويفعله..؟؟!!

وقال ابن عربى أكثر من هذا : إن تشخص النفوس أزل وأتينا كنا في
الأزل (أزل الامكان) بأشخاصنا وأتينا تعارفنا وتناكرنا منذ الأزل.. وأن
في ذاكرتنا بقية من هذا التعارف القديم (الأرواح جنود مجندة ما تعارف

منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.. ومقصود كلمة الأرواح في الحديث هو النفوس لأنها هي وحدها المشخصة) .

﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ (١٧٢ - الأعراف) .

وتلك مخاطبة أخرى بين الله وبين الأنفس قبل أن تنزل إلى الدنيا.. ألست بربكم.. فأجابت الأنفس في إقرار.. بلى..

ولعل هذا هو عالم الذر الذي تكلم عنه السلف.. ومن قبل عالم الذر ومن قبل عالم النفوس.. كان الله ولا شئ معه.. فالنفوس مخلوقة وكلام ابن عربى عن أن النفوس كانت لها كينونة وتشخص من قديم قبل ميلادها في الدنيا.. لا يعنى أى شرك بينها وبين القدم الآلهى.. إذ أن قدم الله هو قدم القدرة والكمال ، أما تلك النفوس فإن قدمها هو قدم الافتقار والنقص والاحتياج .

وما كانت لتستطيع أن تخرج من عالم الامكان إلى عالم الواقع بذاتها.. وما كانت لتستطيع أن تحيا بذاتها وما كانت لتوجد كذر في محيط العدم بذاتها .

فإن الله هو الخالق القادر بذاته الحى بذاته.. أما هى فما كانت لتقدر إلا بالله وما كانت لتحيا إلا بالله.. وما كانت لتخلق إلا بالله.. وفى قول آخر انه اسماها نفوسا لأنه خلقها من انفاسه وكلماته.. عيسى كلمة.. ويحيى كلمة.. وكل مخلوق جاء إلى الخلق بكلمة .

يقول الله لأم موسى بعد أن أمرها بأن تلقى وليدها في النيل : ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (٧- القصص) .

لقد تقرر أن موسى رسول وهو رضيع.. بل تقرر أنه رسول قبل أن يولد..

لقد كانت له صلاحيات الرسول من قبل أن ينزل إلى الدنيا ويكون له فيها ابتلاء واكتساب.. وكانت لتلك النفس الموسوية تشخص الرسل من قبل أن تولد وعيسى عليه السلام.. ماذا قال حينما تكلم في المهد؟؟!!

﴿قال إني عبدالله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما

كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴿ (٣١ - مريم) .
 أين آتاه الله الكتاب ومتى أوصاه.. انه يتكلم بالفعل الماضى وهو فى
 لفافة المهد.. المعنى صريح.. أنه أوتى النبوة قبل أن يولد .
 ومحمد عليه الصلاة والسلام وحديثه الثابت الذى قال فيه : «كنت
 نبيا وأدم بين الماء والطين» .

وفى صيغة أخرى : «كنت نبيا وأدم يجدل فى طينته» .
 وكلامه للصحابى جابر :

أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر .
 ويقول عنه القرآن انه كان أول المسلمين فى الوقت الذى يقول فيه عن
 ادريس ونوح وابراهيم واسحاق ويعقوب وداود ولوط وصالح وايوب
 وعيسى وسائر الأنبياء انهم مسلمون فكيف يكون الآخر أولا .
 ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له
 وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (١٦٢ - ١٦٣ - الأنعام) .. إلا أن
 يكون أولهم خلقا وآخرهم بعثا .

ويقول عن موسى أنه أول المؤمنين لأنه أول من شاهد.. وصعقه
 الشهود فى الآية التى طلب فيها رؤية الله.. وهو وحيد فى ذلك بين كل
 الأنبياء .

﴿ قال ربى أرنى أنظر إليك .. قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن
 استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
 صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾
 (١٤٣ - الأعراف) .

كل تلك الآيات تقترح مرحلة من الوجود سابقة على مرحلة الخلق
 الطينى .

وفى سورة التين ما يشير إلى هذا :
 ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل
 سافلين ﴾ (٥ - التين) .

وخلقنا الحالى فى أبدان طينية تتعب وتمرض وتشيوخ وتموت لا يمكن

أن يكون هو الخلق الذى وصفه الله بأنه فى أحسن تقويم .
إذن هناك وجود سابق كنا فيه نفوسا نورانية فى أحسن تقويم قبل
أن ننزل فى قوالب الطين فى الدنيا التى هى أسفل سافلين بالنسبة
للسموات السبع الطباق من فوقها .

يقول ربنا فى اللقاء الأخير يوم القيامة :

﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ (٩٤- الأنعام) .

ونحن يقينا لن نلقى الله يوم القيامة كخلق طينى ، بل كخلق آخر
نهائى يعيش مخلدا فى النار أو مخلدا فى الجنة.. ولو كنا سنبعث كخلق
طينى لاحترقنا فى النار فوراً ولتحولنا إلى دخان .

ومن هنا تكون كلمة - كما خلقناكم أول مرة - تشير إلى الخلق
النورانى الأول وليس إلى المرحلة الطينية التى نعرفها فى الدنيا.. وتكون
المرحلة التى نعيشها الآن هى.. أسفل سافلين .

والخلق الأول كان قبل اسجد الملائكة لآدم وقبل مجيئنا من حواء
كنسل طينى.. مصداقا للآية .

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾

(١١- الأعراف)

ومعنى ذلك أن الأمر الذى صدر للملائكة بالسجود قد انسحب على
الرتب الأدنى بالتبعية مثل ابليس وقبيله ومثل الإنس.. الذين خلقهم الله
فى أحسن تقويم ونحن منهم.. ومنا من أطاع ساعتها ومنا من عصى.
وهكذا تفاضلت مراتبنا منذ الأزل.. ومنذ تلك الحضرة العلوية المهيبة
التي جمعت الكل.. وربما كان تعارفنا الأول منذ تلك الحضرة الجامعة..
وكذلك كان تعارف كل منا بشيطانه (قرينه) .

والذين سبقت لهم من الله الحسنى هم الذين سبقوا بالطاعة فى تلك
الحضرة .

إن البحر عميق ومحيط الغيب بلا شواطئ وأمواج الأزل يغرق فيها
الملاح.

ومعرفة الأمر على وجه التفصيل مستحيل.

ماذا كنا وكيف كنا وكيف أصبحنا.. وما المصير .. ومن هم أصحاب الجنة ومن هم أصحاب النار؟.. لاندري .. وقد يتحول الكافر إلى مؤمن عظيم الإيمان في آخر لحظة من حياته.. وقد تحول سحرة فرعون الوثنيون الكفرة إلى مؤمنين أبرار أخيار واستشهدوا ورفعوا إلى الجنة في ساعة من نهار.. بينما انتكس السامري حبيب جبريل إلى وثني كافر ملعون ليهبط إلى قرار الجحيم في أخريات أيامه.

والله وحده هو الذي يعلم بالخواتيم.
والأمر جد خطير بل هو أمر جلل لأنه سوف يتوقف عليه مصيرنا الأبدى.. اقرأوا كتبكم في إخلاص وأعيدوا النظر في أحوالكم.. واسجدوا لله في تبتل.

وأسألوه الهدى والتوبة.
وأسألوه العلم فهو أثمن من كل الدنيا التي تتهاكون عليها.
وما قطعناه في هذا البحر سباحة كان اجتهدا منا قد يصيب وقد يخطيء.

والعلم عند الله.
ترى هل خرجنا عن مألوف مانكتب عن أمريكا وإسرائيل والحرب والسلام.
ليتهم يخرجون معنا في تلك الساعة من التأمل ويبحرون معنا في ذلك البحر.

ليتهم يكسرون زنزانة الأطماع والمصالح.. ويبحرون بأفكارهم في بحار الغيب ليعودوا أظهر وأجمل وأنبل وأكثر إنسانية وتحرا مما هم فيه.

إن الأديان ليست فقط صلوات وإنما هي تلك الملاحة الحرة في بحار الغيب وهي ذلك الوقوف في هيبة وخوف أمام موت قادم لانعرف ماذا وراءه.. وميلاد مضى لاندري ماذا كان قبله.
والله المحيط بكل الزمان هو الوحيد الذي يعلم ماذا كنا قبل.. وماذا نكون «بعد».

والذى وقف على حافة الغيب وارتجف قلبه هو الذى ولد بحق وهو المؤمن بحق.

وإنما تبدأ إنسانيتنا من هذه الوقفة المرتجفة.
ولو وقف كل الناس متأملين أمام رهبة الموت.. لما قامت حروب ولما
اقتتل اثنان على شبر أرض.
وما زلنا ننادى عليهم أن يسمعوا.
ولكننا للأسف ننادى من مكان بعيد.

الخاتمة :

تظن إسرائيل أن العد التنازلى قد بدأ وأن دولتها الكبرى فى طريقها إلى
الميلاد إن لم تكن فى السنة القادمة فهى قطعاً فى السنة التى بعدها..
أليست أمريكا كبرى دول العالم معها وأوروبا معها وإنجلترا معها
والغرب كله معها.. وروسيا تضرب ماتبقى من دول إسلامية آسيوية
ضربات قاتلة تحت الحزام وأمريكا تصادر بالفيتو آخر أمل للمسلمين فى
القدس وتكرس المدينة المقدسة حقاً أبدياً لليهود.. إن الخاتمة مضمونة..
ولا ينقصها إلا الإشهار.

ولكنى أقول : إن هذا العلو سوف ينتكس إلى هزيمة مؤكدة.. ليس
لأننا الأقوى ولكن لأن الملك له مالك غير أمريكا وأوروبا وروسيا..
وإنما تلك كلها ممالك يديرها الله ضمن مايدبر.

وقد وقفت طويلاً أمام صورة نشرت أخيراً للمتحدث الرسمى للحزب
الديمقراطى المسيحى فى ألمانيا.. كريستيان هوفمان.. وهو راكع على
السجادة يصل صلاة المسلمين.. فقد أسلم الرجل.. وعجبت وقلت فى
نفسى.. كيف اقتحم الإسلام قلب هذا الرجل.. وهو فى صميم القلعة
الأوروبية المعادية.. والمسلمون هناك فى أذل أحوالهم.. ومن قبل ذلك
روجية جارودى الشيوعى السابق فى فرنسا.

ومراد هوفمان السفير الألمانى.. وموريس بوكاي الطبيب المعروف فى
باريس.

ومحمد على كلاي.. وتايسون.. وغيرهم وغيرهم.
يا أخواني لا يغركم جبروت الجبابرة
إن الصرب يطحنون في المسملين طحنا ويرتكبون أشنع الجرائم وقد
أطلق الغرب الظالم أيديهم.
ولكن انظروا إلى يد الله تعمل في الخفاء.
واستمعوا معي إلى ذلك الهمس الموحى من وراء الأستار.
إن الله يريد أن يقول شيئاً. لا تعجلوا وأبشروا بالخاتمة.

لا أظننى وحدى الذى عشت تلك اللحظات وباشرت ذلك الشعور.. ذلك الإحساس المؤنس قد عاشه كل منا حينما بلغ شاطئ البحر وألقى بكل همومه خلفه وطرح الدنيا وراءه وألقى بنظرة شوق عانقت المياه اللازوردية وغرقت فى لانهائية الأفق واستسلمت لتلك المعية المبهمة وذلك الحضور الغيبي.. ذلك العناق الجميل مع المطلق.. فأنا وحدى ولست وحدى.. فمن وراء الزرقة اللازوردية ومن خلف هممة الموج ومن وراء هذا الإطار البديع واللوحة المرسومة بإعجاز هناك يد الخالق المبدعة لكل هذا.. هناك ذات الرسام انشقت عنها الحجب واستشفها الوجدان واستشرفت البصيرة.

فكأنما يدور الخطاب بين ذات الرب وذات العبد.. وكأنما يقول لى ربي:

ليس بينى وبينك بين .. ليس بينى وبينك انت..
هذا أنا وأينما توليت فليس ثمة إلا وجهى كل شىء لى، فكيف تنازعنى مالى، كل شىء لى وأنا لا شريك لى.
حتى «الأنا» لى وانت تدعيها لنفسك.. وهى لك نفحة منى أعطيها متى أشاء واستردها متى أشاء.

هى لحظة فريدة من لحظات التجرد الكامل يشعر به أصحاب القلوب فى مجابهة الجمال.. لحظة من لحظات التبرى والتخلي عن كل

الدعوى والمآرب والأوطار .. والخضوع لصولة الجمال والجلال.
 لحظة استنارة وادراك وتوبة وتنازل واعادة الحق لصاحبه.
 ارتفع الحجاب.. وما كان حجابى سوى نفسى.. سوى «الأنا»
 المعاندة داخلى.. فما عادت فى داخلى أنانية ولا منازعة ولا أدعاء لحق.. فقد
 أعدت كل الحق لصاحبه.. لله وحده.. فالله وحده هو الحقيق بأن يقول
 «أنا الذى هو أنا» .. انما اقولها أنا على وجه الاستعارة.
 ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ (١٧ - الأنفال).
 ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ (١٧ - الأنفال).
 فهذا هو الله يفعل على الدوام.. وهو الفعال لكل شىء.
 وحينما يبدو ان الطبيب هو الذى يشفى والطعام هو الذى يشبع
 والماء هو الذى يروى والسهم هو الذى يقتل.. فإنما هى الأسباب تفعل
 فى الظاهر.. والله من وراء الأسباب يفعل فى الحقيقة.. هو.. أنه هو دائماً..
 هو.

هو الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.
 ولحظة الكشف اشهدتني الابداء والاعادة فى حكومة التفريد ومحت
 عنى مايرجع الى ذاتيتى ومحت عنى «الأنا» الأنانية داخلى.. ورفعتنى الى
 ذروة معرفية.. والى مقام.. ماثم لإلاله.
 ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ (٩١ - الأنعام).
 ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾ (١٦٢ -
 الأنعام).

انتهى فى داخلى كل ما يخصنى.. فأنا كلى لله.. محياى ومماتى
 ونسكى وصلاتى.

أكاد أسمع صوت الله فى قلبى.

ألق الاختيار، ألق المؤاخذه البتة.

تنازلت ساعتها عن اختيارى باختيارى ورضيت باختيار الله
 وأسلمت ناصيتى لربى فسقطت عنى المؤاخذه وحقت لى المودة.. وذلك
 هو الاسلام الكامل.. اسلام «الأنا» لخالقها يقلبها فى الأحوال كيف يشاء.

سقطت كل الدعاوى وعدت الى المبتدأ.. الى الفطرة والبركة الأولى..
حيث ماثم إلهو.. وذلك مقام الفناء عند أهل الأشواق.
وهو حظ الافراد الكمل والأنبياء والصديقين والأبرار يعيشونه
طوال الوقت ، أما نحن فحظنا من هذا المقام لحظة.
حظنا.. شميم.. ووقفة على العتبات ذات صباح.
يقول العارف الكامل محمد بن عبد الجبار بن الحسن النقى :
بداية الوقفة الا يكون هناك «سوى» لتكون عنده وقفة.. فأنت
لاتعود ترى ألا الله حيثما توجهت.
﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ (١١٥ - البقرة).
لاشئ سوى الله.
على اتساع الوجود.. لاموجود بحق إلهو.. وانما وجودنا مستعار
منه ومقترض من وجوده وموهوب من فضله.
ومن يؤتى هذا الاحساس تكون حياته كلها سكر وعذابه كله شكر.
يقول مولانا الشاذلى لربه مبتهلا:
خذنى اليك منى وارزقنى الفناء عنى.. ولا تجعلنى محجوبا بحسى
مفتونا بنفسى.
انه يريد ان يستحضر تلك اللحظات على الدوام ويعيش فى هذا القرب
طوال حياته.. وهيهات.. فهذا مقام لاينال بالتمنى.. ولايلغى إلا آحاد..
هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى.. وصنعهم الله على عيته.
ومن يتذوق تلك اللحظات يشتهاها ويتشممها ويتحسسها من وراء
الحجب والأسباب والمظاهر ويراهما فى النعيم وفى العذاب وفى العطاء وفى
الحرمان.

ويقول هذا العارف المشتاق:

ولولا سطوع الغيب فى كل مظهر

لأحرقنى شوقى وأهلكنى وجدى

فهو يرى ذات الحق تسطع من وراء الحجب والمظاهر وتبدو له فى
كل شئ.. فى ابتسامة الوليد.. وفى تفتح البرعم.. وفى طلعة الفجر.. وفى

حمرة الشفق.. وفي زرقة البحر.. وفي عطر الورود.. وفي العطاء وفي الحرمان وفي البلاء وفي النعيم.
وهو يقرأ مشيئة الله في الحوادث ويفض شفرة ارادته في مجريات التاريخ.

والعارفون الكمل كالأطفال الأطهار يحيون في انبهار دائم طوال الوقت ويقولون : نحن في سعادة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف.

وهي ليست سعادة السلبية والعزلة والانقطاع بل هي سعادة إيجابية فاعلة، فالكاملون منهم مثل سيدى أبو الحسن ، الشاذلى وعبدالقادر الجزارى ونجم الدين كبرى حاربوا الصليبيين والتتار وقاتلوا الاستعمار في الشمال الافريقى وفي السودان وتصدوا للباطل حيث كان ولم يركنوا للعزلة ولا للتواكل.

وكان نجم الدين كبرى يقذف بالحجارة.. التتار الذين يرمونه بالنبل.. وهو يترنم في نشوة هاتفا: أقتلنى بالوصال أو بالفراق.. حتى سقط في بركة من دمه ولفظ أفاسه.

فلم يكن يبالي على أى وجه كان في الله مقتله فهو المحب المشتاق في جميع الأحوال.

وهؤلاء هم الأكابر الأفراد.. حظنا منهم لحظة.. وشميم حال.. وذكرى عطرة.. وتلك هي صرافة التوحيد وترنيمه لا إله إلا الله.. تجدها شذرات متفرقة في الإنجيل وفي التوراة وفي نشيد اخناتون وفي كتاب الموتى.. وتجدها مستخلصة مجموعة مكثفة عميقة هائلة في القرآن وكأنما هي معزوفة سماوية أو سيمفونية علوية قدسية تترنم بها السطور والآيات.

وفي بحار ابن عربى وأبو حامد الغزالى وابن الفارض وابن عطاء الله تجد سكارى التوحيد من الأكابر الذين سجدوا فسجدت قلوبهم فلم ترتفع من سجدها حتى لفظوا أنفاسهم.
جعلنا الله منهم وختم لنا بالسلامة ببركتهم.
إنه سميع مجيب.

والتجلى الآفسر

وقد يعتب على الأصدقاء الخلاء ويقولون لى: كيف تترك نفسك لتغيب فى هذا السكر والوصال الصوفى وقد عهدناك صاحبا لدرجة الصراخ.

وأقول لهم : إنما أسكر هذا السكر لأصحو وأفقق واستجمع نفسى واحتشد لالتحم من جديد بهذا العالم وأصرخ.. فالواقع الذى نعيشه أمر من أن نصارعه فرادى.. إنما نصارعه بالله.. وبدون الله لا أمل. وكان نبينا يقول لربه : بك أحيأ وبك أموت وبك أصول وبك أجول ولا فخر لى.

وقد حاول جبابرة روسيا لينين وستالين وغيرهما أن ينهضوا بروسيا بدون الله وبدون دين فسقطوا بها وسقطوا معها إلى الهاوية. ومثل تجلى الله البديع والجميل فى سماواته والذى ذكرناه فى وقفة البحر.. كان تجلى الرحيم والرحمن والناصر والجبار والمنتقم فى غزوة بدر على قلة من المسلمين بلا عدة وبلا عدد فانتصروا على كثرة مسلحين بالعدة والعتاد.

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾ (١٢٣ - آل عمران)
﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (٢١٤ - البقرة) .
فتجلى عليهم الله بنصره.

ويأتى النصر فى الحالين على غير المألوف فتنتصر القلة على الكثرة وتنهزم العدة والعتاد أمام الفقر العسكرى والحربى.. حتى تكون حجة الله ملزمة وحتى لا يخرج من المنتصرين من يقول: ان الخطأ والتكتيك والكر والفر هو الذى أتى بالنصر.. والله هو الفاعل دائما فى جميع الحالات ولكنه يتخفى بالأسباب.

وما شقت عصا موسى البحر ولا ابتلعت مايلقى السحرة من أفاع
وثعابين ولا فجرت عيون الماء من الصخر.. ولكن الله هو الفاعل من
وراء الأسباب وتلك مشيئته وكلمته وإنما أخفى إرادته في أسبابه.
وإنما يكون التجلى أحيانا باهرا ساحرا وخالبا للألباب لينقطع الشك.
وما السيول والأعاصير والزلازل والبراكين والصواعق إلا جند من
جنود ربك « وما يعلم جنود ربك إلا هو » .

ولا يقنط المؤمن ولا ييأس ولا يلقي سلاحه مهما تكاثر عليه الأعداء
ومهما حاصرتهم الهموم.. لأنه يرى قدرة الله في كل شيء.. ويرى
البعوضة حاملة الملاريا مجندة ويرى الفيروس حامل الإيدز مجندا..
ويرى الأعصار مجندا.. والرصاصة مجندة.. ويرى مشيئة الله تفعل
ولا سواها.

والصمود أمام المحال من صفات المؤمن لأنه يعلم أنه يصارع بيد
الله لا بيده.. وهو لا يعرف الجبن ولا الخوف ولا الفرار.
ولهذا اقتضى الإيمان.. الابتلاء.. لأن الكلام سهل ولأن كل واحد
يدعى أنه مؤمن وأنه مستحق للجنة.. وقد زعم الجبابرة أمام شعوبهم
حتى لحظة موتهم ، أنهم كانوا يحسنون صنعا واعتقدوا أنهم
يستحقون التمجيد والإشادة.. فلزم الابتلاء حتى يصحو كل واحد على
حقيقته وحتى يعلم منزلته.. والله في غير حاجة إلى الابتلاء فهو يعلم
منازلنا منذ الأزل.. ولكننا نحن الذين يلزمنا الابتلاء حتى نعرف أنفسنا.
واليوم استدار الزمان دورة كاملة ونوشك أن نقبل على معركة بدر
أخرى ويتكاثر علينا الأعداء من خارجنا ومن أنفسنا ونراجع حتى
يصبح ظهرنا إلى الحائط.. ويجثم علينا مستقبل مظلم.. ونعود أحوج
مانكون إلى الإيمان الصحيح والمعرفة الصحيحة بالله.. فلا سلاح حقيقى
إلا هو ولا حصن إلا حصنه.

وتتجمع النذر والبشارات في الأفق.

فهل نحن في مستوى الامتحان؟

وهل نحن مؤمنون حقا؟

هذا هو السؤال الذى سوف تجيب عنه السنوات العصبية القادمة.

حرب المياه

منطقة الشرق الأوسط سوف تصبح ميدانا لحرب المياه في القريب.. وقد بدأت مقدمات تلك الحرب من الآن.. فالمياه تسرق بالفعل من نهر الليطاني ونهر الأردن والمياه الجوفية تسحب من تحت أرض الضفة لتروى مزارع المستوطنين ولا يسمح للفلسطيني صاحب الأرض بحفر بئر إلا بإذن.

وهناك مائة مليون يتكاثرون ويتناسلون ويتضاعفون على حصة مائية محدودة لا تزيد.

والعراق ولبنان والأردن وفلسطين وإسرائيل تعتمد على أنهار الأردن والليطاني واليرموك ودجلة والفرات وعلى صحارة جوفية محدودة تحت الأرض وعلى الأمطار التي تهطل على جبال تركيا.. و«المحبس» القادمة منه أكثر تلك المياه في يد تركيا تفتحه كما تشاء لمن تشاء.

وقد ارتبطت إسرائيل بمعاهدات مياه من الآن بتركيا.. وسوف تشتري منها حصصها الإضافية في المستقبل بالدولار.

أما مصر فتعتمد على مياه النيل القادمة من أعلى الحبشة وعلى صحارات المياه الجوفية في سيناء وسيوة والوادي الجديد والصحراء الغربية.

ومصر تفقد خمسين في المائة من مياهها المتداولة بسبب السيفونات والحفريات ومحابس المياه السائبة والسباكة الرديئة.. تتسرب هدرا إلى بالوعات الصرف.. وتفقد حصة أخرى تتبخر وتضيع بسبب أسلوب الري البدائي بالغمر.. ويمكن توفير تلك الكميات الضائعة فورا بتجديد السباكة واستبدال الري بالغمر بالري الحديث بالتنقيط.

وموجات الجفاف كوارث محتملة في المستقبل والتدخل العدواني

بحجز المياه ببناء السدود على منابع النيل في الحبشة احتمال آخر تنكره الأطراف صاحبة المصلحة ولكنه في حالة الحرب سوف يصبح الاستراتيجية رقم ١

وأكبر قدر من الفاقد لمياه النيل يحدث بالتبخر من الروافد التي تنساح في السودان بعرض مستنقعات لمئات الكيلومترات المربعة لا تكاد ترى لها ضفافا.. وسوف يرتفع سعر المياه في المستقبل ليصبح أعلى من سعر البترول.. ثم ليصبح أعلى من سعر البنزين.. ثم تندلع بسببه النزاعات والحروب فتصبح نقطة الماء أعلى من نقطة الدم.

وكل هذا يمكن تجنبه بالتخطيط الفوري والتدبير والتفكير للمستقبل وعمل المعاهدات المائية والاتفاقات الضرورية مع الدول صاحبة الشأن من الآن.. ثم البدء بتجديد السبابة القديمة كلها بطول وعرض مصر في الريف والحضر والوجه البحرى والصعيد واستبدالها بسبابة جديدة محكمة ثم الامتناع عن الرى بالغمر واستبداله بالتنقيط في كل الحقول والمزارع ثم تربية النشء المصرى على عادات جديدة اقتصادية في استخدام نقطة الماء وفي استخدام الحنفية والسيفون والطمبة.. وأخلاقيات مائية جديدة تحل محل السفاهة المائية الموجودة والإسراف الإبله في استخدام سائل نادر ثمين سوف يصبح يوما أعلى من الصهباء والشمبانيا وأندر من لبن العصفور.

مغالطة

يجيب شيمون بيريز على ما يجول في خاطر بعض العرب حول موضوع السوق الشرق أوسطية وعلى المخاوف من أن إسرائيل تخطط للهيمنة على المنطقة العربية.. بأن حكاية الهيمنة كلام فارغ.. وأن السوق الشرق أوسطية هي سوق تنافسية لا أكثر ولا أقل.. ويتساءل: هل يمكن أن تتهم اليابان بالهيمنة إذا راجت منتجاتها.. ان التجارة تنافس ومنافسة.

وفي إجابة بيريز مغالطة.. فالمنتجات اليابانية لا تساندها ترسانة نووية ولا عملاقة عسكرية وليس لليابان أجهزة ضغط مثل التي تملكها إسرائيل ويكفى أن أمريكا بكل عملقتها وقوتها وانفرادها بالعالم.. هي ذاتها بمخابراتها وبوارجها وأقمارها الفضائية في خدمة إسرائيل.

وهي تضغط بكل امكانياتها بالتهديد والإغراء بالمعونات على كل زعامات المنطقة من أجل تمرير صفقة السلام الإسرائيلي وبالشروط الإسرائيلية.. وليست أمريكا وحدها بل الغرب كله من ورائها يساند إسرائيل ، والهيمنة الإسرائيلية حقيقة تفرض نفسها على المتابع للأحداث.. وإسرائيل تتصرف كإسرائيل كبرى من الآن رغم أنها مازالت صغرى من ناحية الجغرافيا والمساحة وكلام بيريز تجميل وماكياج لهذا الواقع المرعب .. ولكن ينقصه الإقناع.

■ ■ ■ الفهرس :

صفحة

- إنشادية دينية في تسبيح وتمجيد وتحميد رب العالمين ٥
- النبوة .. قراءة للمستقبل ٣٣
- وكر الثعابين ٤٣
- هذا التطبيق ٥٣
- حكاية الـ ٩٩,٩٪ والإجماع الخرافي ٣٦
- هل هي جاهلية جديدة ٧٣
- الإعصار القادم ٨١
- استعمال الإسلام لهدم الإسلام ٩١
- ميلاد جمهورية فاضلة اسمها البوسنة ١٠١
- الخيط الرفيع بين النار والجنة ١٠٩
- ساعة تأمل ١١٩
- لحظات السكر ١٣١

رقم الإيداع ٩٦ / ١٩ / ٢
الترقيم الدولي I. S. B. N.
977 - 08 - 0271 - 9

طُبعت بمطابع دار اخبار اليوم

To: www.al-mostafa.com